من بلاغة الحوار في النظم القرآنيّ
دراسة بلاغيّة لمشهد حواري من مشاهده

إعداد:

د. سميرة عدلي محمد رزق

أستاذ البلاغة المشارك

قسم اللغة العربية– كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾

من بلاغة الحوار في النّظم القرآنيّ
دراسة بلاغيّة لمشهد حواري من مشاهده

ملخّص البحث

تتركّز الدراسة في هذا البحث في محورين أساسيين، يسبقهما تمهيد ويتلوهما خاتمة، ذكرت أهم النتائج في هذه الدراسة.

أما التمهيد فقد اهتم ببيان مفهوم الحوار في اللغة، إذ يعني مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، ثم ذُكر مفهومه في الأدب وأهميته وشروطه.

ومن خلال هذين المفهومين وصل البحث إلى محوره الأوّل وهو مفهوم الحوار في القرآن الكريم وأهميته وموضوعاته وبيان الأطراف المتحاورة فيه، مع الإشارة إلى أرقام الآيات التي ورد فيها.

ثم انتقل البحث إلى المحور التطبيقي، وذلك من خلال الدراسة التحليلية البلاغيّة لمشهد حواري منه تمثّل في خواتيم سورة "المؤمنون" ويبدأ من الآية ٩٩ إلى ١١٨.

هذا وقد اهتمَّت الدراسة بتوظيف علوم البلاغة الثلاثة (المعاني، البيان، البديع) في تحليل الآيات بدراسة الألفاظ ودقّة اختيارها ضمن السياق، وما أضفته عليه من ظلال وارفة وبلاغة فذَّة، مع دراسة التراكيب وبيان بديع نظمها وعجيب تأليفها فضلاً عن أدائها المعنى في أوضح لغة وأبلغ عبارة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

فالمعلوم أن القرآن الكريم معجزة رسولنا البيانيّة وكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ويشغل الحوار مساحة كبيرة من هذا الكتاب الكريم، تلفت النظر وتدعو إلى التفكير وجذب الانتباه إلى أهميته وأغراضه، فضلاً عن تميّز أسلوبه بالحيويّة والحركة، مما يبعث في قارئه النشاط والتفكير الجاد في آن واحد.

ولا أدّعي أنني أوَّل من التفت إلى دراسة الحوار في القرآن لهذا السبب، بل سبقني إليه نخبة من الباحثين النابهين، من أمثال محمد حسين فضل الله، في كتابه "الحوار في القرآن" – بيروت. الدار الإسلاميّة، سنة ١٩٧٩م، ومحمد رجب البيومي، في كتابه "البيان القرآني" – القاهرة. الدار المصريّة اللبنانيّة. ٢٠٠١م، وحسين عيسى باطاهر في بحثه "طرق العرض في القرآن. الأهداف والخصائص الأسلوبيّة". جامعة الكويت. حوليات الآداب والعلوم الاجتماعيّة. الحوليّة الثانية والعشرون. الرسالة ١٧٨، سنة ٢٠٠١-٢٠٠٢م.

ورغم ما ذكرت من دراسات سابقة أو غيرها، إلا أنّني أشير هنا إلى أنّ هذه الدراسات لم تتناول مشهدا حواريًّا كاملاً بالتّحليل البلاغيّ كما جاء في هذا البحث، بل إنّ كلّ ما جاء فيها كان عبارة عن دراسة عامة ومُستفيضة عن موضوع الحوار في القرآن الكريم، لذا فقد شعرت برغبة قويّة في دراسة "خواتيم سورة المؤمنون" وهي عبارة عن مشهد حواري كامل من مشاهد الحوار في القرآن تجلّى في الآيات

٩٩–١١٨ من السورة المذكورة، وهي دراسة بلاغيّة تحليليّة تأتي بعد ثمانية بحوث سابقة في نفس المجال، نُشِرَت في مجلاّت علميّة محكّمة، قامت بها الباحثة.

ولعلّ أهمِّية هذه الدّراسة تعود إلى اختيارها الجانب التطبيقي التحليلي إلى جانب الناحية النظرية في دراسة الحوار نظرًا لحاجة الدِّراسات البيانيّة في القرآن بصفة عامة إلى مزيد من عناية الدَّارسين واهتمامهم.

هذا وقد جاء منهج الدراسة في هذا العمل المتواضع متّجهًا إلى محورين يسبقهما تمهيد ويتلوهما خاتمة مشتملة على أهم ما توصَّل إليه البحث من نتائج.

وفي التمهيد عرَّفَت الدِّراسة بمعنى الحوار في اللّغة، ثمَّ بمفهومه الأدبي وأهميته وشروطه.

أمّا الجانب النظري وهو المحور الأول من هذه الدراسة فاهتم بمفهوم الحوار في القرآن الكريم وأهميتهِ وطرقه وموضوعاته ثم بيان الأطراف المتحاورة فيه، وذلك من خلال قراءة القرآن الكريم كاملاً لذكر بعض هذه الآيات، أو الإشارة إلى أرقامها في السور ضمن الهامش – ومما نذكره هنا على سبيل المثال لا الحصر– بعض الأطراف المتحاورة في القرآن الكريم مثل حوار المولى عزَّ وجلّ مع الملائكة، حواره مع أبي الأنبياء سيّدنا إبراهيم عليه السلام، ومع موسى عليه السلام... إلى آخر ما ورد في القرآن من هذا الحوار والذي اهتمَّ البحث بالإشارة إليه في موضعه.

هذا وذكر البحث أيضًا الأطراف الأخرى المتحاورة فيه، كحوار الأنبياء مع أقوامهم أو ذويهم؛ منها حوار سيّدنا إبراهيم – عليه السلام– مع أبيه وقومه وغيره من الأنبياء، مثل حوار سيّدنا محمد – صلى الله عليه وسلم– مع قومه وردّه على أسئلتهم – حسب ما علّمه الوحي، إذ لا ينطق عن الهوى – صلى الله عليه وسلّم– بل هو وحيٌ يوحى علَّمه شديد القوى كيف يجيب في أسلوب حواري راقٍ يطرد الملل ويخلُق الحيويّة والنشاط، فضلاً عن احتواء هذه الآيات على المنهج التربوي الصحيح

أو الحدِّ الشرعي المطلوب، أو القيم الخلقيّة الفاضلة التي لا يغفل القرآن الكريم عنها لبثّها في المجتمع.

وإلى جانب الأطراف البشريّة المتحاورة لم يترك البحث الإشارة إلى الحوار الذي جاء على لسان غير البشر... مثل خزنة جهنم مع الكفّار، والهدهد، والنفس الكافر– مع نفسها.. إلى آخر ما كشف عنه البحث بالإشارة إلى آياته في القرآن الكريم.

ثم انتقلت الدراسة بعد ذلك إلى المحور الثاني – الجانب التطبيقي– وهو لُب البحث وجوهره بل السبب الرئيس في إقامة هذا العمل، وهو دراسة خواتيم سورة "المؤمنون" من الآية ٩٩ إلى الآية ١١٨ – إذ تمثّل هذه الآيات تصويرًا حيويًا مؤثِّرًا لمشهد حواري كامل من مشاهد الحوار في القرآن الكريم، وهو موقف الكافر بين يدي مولاه – عزَّ وجل– منذ لحظة الموت الحاسمة وحتى يوم البعث والحساب.

وهكذا ذكر نصّ الآيات أولاً ثم اتّبع في دراستها المنهج الآتي:

أ– توضيح المعنى العام لها.

ب– بيان مناسبة الآيات للسياق في السورة الكريمة.

ج– دراسة الآيات وتحليلها بيانيًا، وهنا رُكِّز العمل فيها على نقطتين:

أولاهما: دراسة ألفاظ الآية لغويًا، وبيان اختلاف النُّحاة في موقعها وذلك فيما يخدم غرض البحث، كبيان المعنى المترتّب على ذلك الاختلاف، ثم دراسة دقّة اللفظ وأهميّة اختياره في السياق وتفضيله على مُرادف له، لبيان بلاغته في موضعه.

ثانيتهما: دراسة التراكيب في الآية، وذلك من خلال توظيف علوم البلاغة الثلاثة في هذه الدراسة (المعاني، البيان، البديع) للاستفادة منها في تلمّس بعض أسرار التعبير القرآني المعجز في كل آية من المشهد المذكور.

هذا وقد ذُيِّلت الدّراسة بتعقيب وموازنة، ذُكر في الأوَّل منها العبرة المُستفادة من آيات هذا المشهد المؤثِّر، وأما الثاني فأُشير فيه إلى بعض الآيات والمشاهد الأخرى، التي عرض فيها القرآن الكريم نفس الفكرة بأسلوب يليق بموضوع السياق الذي عُرضت فيه، ولعلّ الهدف من ذلك هو بيان تميّز وتفوّق الأسلوب القرآني في عرض الموضوع الواحد بأكثر من طريقة مع تفرُّده في هذا العرض وإعجازه المبهر.

أما الخاتمة، فاهتمَّت ببيان أهم ما توصّلت إليه هذه الدراسة من ملحوظات ونتائج.

وبالله التوفيق والسداد.

تمهيد

معنى الحوار في اللغة:

جاء في مقاييس اللغة:

"الحاء والواو والراء ثلاثة أصول: أحدها لون، والآخر الرجوع، والثالث أن يدور الشيء دورًا"(١) .

فالأول (الحَوَرَ) شدّة بياض العين مع شدَّة سوادها، وحوَّرت الثياب أي بيّضتها، واحورَّ الشيء أبيضَّ، والحواريَّات النساء البيض.(٢)

وفي اللسان:

"الحَوْر الرجوع عن الشيء وإلى الشيء وعنه حَوْرًا ومَحارًا ومَحَارَةً وحُؤُرًا رجع عنه وإليه".(٣)

وحارت الغُصَّة تحوُرًا انحدرت كأنها رجعت من موضعها وأحارها صاحبها.

أنشدَ الأزهري: "وتلك لعمري غصّة لا أُحِيرُها".(٤)

ويُقال حَار بعدما كَار أي نقص بعدما زاد. لأن الحَوْر هو النُقصان بعد الزيادة فهو رجوع من حال إلى حال. والمحارة: المكان الذي يُحار فيه أو يحور فيه والباطل في حُور أي في نقص ورجوع. وذهب في الحُور والبُور أي في النُقصان والفساد. (٥)

---

(١) ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن زكريا).في معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام هارون. ط ١. دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي وشركاه. القاهرة. ١٩٦٩م مادة (حور).

(٢) * المصدر السابق (حور) (بتصرّف).

(٣) ابن منظور (جمال الدين محمد مكرم الأنصاري).في لسان العرب. طبعة مصوّرة عن طبعة بولاق. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر. القاهرة. دون تاريخ (حور).

(٤) * المصدر السابق (حور).

(٥) * المصدر السابق (حور) (بتصرُّف).

والحَوْرُ ما تحت الكُور من العمامة لأنه رجوع عن تكويرها.

وقولنا: "كلّمته فما رَجَعَ إليَّ حَوَرًا وحِوارًا ومُحاوَرَةً وحَوِيرًا ومَحُورَة بضم الحاء بوزن مَشُورة أي جوابًا وأحار عليه جوابه ردَّه".(١)

والاسم من المُحاوَرَة الحَوِيرُ تقول سمعت حَوِيرَهما وحِوارَهما والمُحاوَرَة المُجاوبة، واستحارَهُ أي استنطَقَهُ.

"وهم يتحاورُون أي يتراجعون الكلام والمُحاوَرَة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة وقد حاوَرَهُ والمَحُورة من المُحاوَرَة مصدر كالمَشُورة من المشاورَة".(٢)

وهذا المعنى الأخير هو موضع دراسة هذا العمل لأنّه ينطبق على معنى الحوار في القرآن إذ إنّ الحوار فيه يعني المرادَّة في الكلام، إلا أنّ الحوار في القرآن قد يكون ذاتيّ وقد يكون على شكل خواطر نفسيّة تلمُّ بالشّخص وتنقله من طَور إلى طَور، وقد يكون بين اثنين أو أكثر إلى آخر ما ورد عن ذلك في موضعه من البحث.

مفهوم الحوار في الأدب وأهميته وشروطه:

يُعتبر الحوار هو المظهر الحسّي للمسرحيّة بل لا يميّز المسرحيّة عن القصّة تمييزًا واضحًا إلاّ بطريقتها في استخدام أسلوب الحوار بصفة أساسيّة، لأن القصة لاتستخدمه إلاّ قليلاً إلى جانب الأسلوب السردي، والأسلوب التصويري(٣).

وللحوار أيضًا قيمة عظمى في عرض الانفعالات والدوافع والعواطف، وهو الجزء الذي يقرِّب الروائي أو المسرحي أو القاص من الناس؛ لأنه يزيد هذه الأنواع حيويّة وحركة. (٤)

(١) * المصدر السابق (حور).

(٢) * المصدر السابق (حور).

(٣) إسماعيل (د. عز الدين).في الأدب وفنونه. ط.٧. دار الفكر العربي. القاهرة، ١٩٧٨م. ص ٢٣٩ (بتصرُّف).

(٤) أمين (أحمد).في النقد الأدبي. ط.٤. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة، ١٩٧٢م. ص ١٢٥.

ويقول مؤلف نظريّة الأنواع الأدبيّة: "الحوار أو الحديث الزوجي يعتبر الحوار التعبير الطبيعي للإحساسات على المسرح، فهو بهذا عنصر أساسي، وحينما يوضع جمع من الأشخاص في وقت واحد، فذلك لأن لديهم، في الظاهر، أفكارًا يتبادلونها ومصالح يتناقشون فيها، وما يكون هناك من تعارض بين الأفكار وبين الطباع يُعبَّر عنه بالمناقشة".(١)

ولعلّ من أهميّة الحوار في القصة أن نجاحها يتوقّف على براعة الكاتب في إدارة الحوار بين شخصيات قصصه، لذا ينبغي أن تتوفّر فيه الشروط التالية:

ينبغي على الأديب ألاّ يجعل عباراته واضحة وصريحة جدًا، بل عليه أن يلجأ إلى الإيحاء الجذّاب أو التلميح اللطيف، كذا ينبغي البعد عن الأسلوب الخطابي واستعمال العبارات الطنّانة لاصطناع الإثارة في نفس القاريء أو المشاهد للمسرحيّة، وأن يبتعد عن العبارات المحفوظة والمليئة بالحكم والأمثال حتى لا يمل المتلقّي لها، وعدم الخلط بين السَّرد والحوار في عبارات المتحاورين، كما ينبغي أن يكون الحوار في صلب الموضوع الأساس للقصة أو المسرحيّة بحيث لو حُذِف منه شيء اختلّ السياق، كذلك ينبغي أن تكون العبارات قصيرة وسريعة بقدر الإمكان وأن تكون مشتملة على لمسات واقعيّة قريبة مما يتحدّث به الناس، كالتلعثم أو التردّد أو التدارك... الخ.

ولكن ليس من الواقعيّة أن ينقل الأديب أحاديث الناس في حياتهم العامة كما هي تمامًا(٢)، بل "عليه أن يهذِّبها وينقِّيها وينسِّقها ويصبّها في الخط الأساسي الذي

(١) M, L'Abb'e.ci.vincent.في نظرية الأنواع الأدبية. ترجمة وتعليق. د. حسن عون. ط. بدون. منشأة المعارف. الإسكندرية. بدون تاريخ. ص ٢١٥.

(٢) القباني (حسين). في فن كتابة القصة. ط. بدون. المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر. القاهرة، ١٩٦٥م. ص ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣ (بتصرُّف).

تجري فيه أحداث القصة، كل هذا دون أن يجعل القاريء يحسّ أن الحوار دخيل عليها، أو زائد فيها أو غير مطابق للشخصيّة التي يجري على لسانها".(١)

أما الجملة في الحوار المسرحي فينبغي أن تكون لها خصائصها المحدّدة؛ لذا عني كبار كُتَّاب المسرح العالميون بطبع الجملة فيها بطابع صوتي تكتسب به إيقاعًا من نوع ما، وطولاً وقصرًا تتلاءم بهما في موقعها.(٢)

وعلى مؤلِّف المسرحيّة أن يراعي طبيعة الشخصيّة الناطقة بفكرته المصوغة – في المقولة، ثم أثر هذه الفكرة في الشخصيات المسرحيّة المتوجّه بها إليها، ومن ثمّ قوّة الحوار في الحركة، "فالحوار المسرحي فعل من الأفعال به يزداد المدى النفسي عُمقًا، أو الحدث المسرحي تقدُّمًا إلى الأمام فلا ركود في لغة المسرح".(٣)

أما الموقف فدوره في ذلك أنه هو الذي يُملي طبيعة الحوار ولكلّ شخصيّة موقفها الخاص في الموقف العام للمسرحيّة، فلها لغتها الخاصة التي بها تحيا في حركة. (٤)

"وعلى قدر واقعيّة شخصيات المسرحيّة، تكون أحكام الحوار دون توجّه إلى مشاهدين، تمامًا كما لو كانت هذه الشخصيات تحيا حياتها في الواقع لا في المسرح...".(٥)

(١) * المرجع السابق. ص ١٠٠.

(٢) هلال (محمد غنيمي). في النقد الأدبي الحديث. ط.٣. دار الثقافة. دار العودة. بيروت، ١٩٧٣م. ص ٦٥٨)٦٥٩ (بتصرُّف).

(٣) * المرجع السابق. ص ٦٥٩.

(٤) * المرجع السابق. ص ٦٥٩ (بتصرُّف).

(٥) * المرجع السابق. ص ٦٥٩.

أولاً: الحوار في القرآن الكريم

((مفهومه وأهميته، طرقه وموضوعاته))

ذكر الراغب الأصفهاني أن الحَوْر هو:

"التردّد إما بالذات وإما بالفكر"(١). قال تعالى:(٢) ﴿ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾ أي لن يُبعث.

"والمُحَاوَرة والحِوار المرادَّة في الكلام ومنه التحاوُر قال تعالى: (٣)﴿ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾ .

وقوله تعالى: (٤)﴿ حُورٌ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴾ "جمع أحْوَرَ وحَوْرَاء، والحوَرَ قيل ظهور قليل من البياض في العين من بين السواد وأحْوَرَت عينه وذلك نهاية الحُسْن من العين"(٥)، والحواريون هم أنصار عيسى عليه السلام.

ويعتبر الحوار من عناصر القصة في القرآن الكريم، ولكنه حوار ذاتي له سِمة خاصّة، وهي الصدق الذي يمثّل منطق الشخصيّة وتفكيرها وكل ما ينازعها بحيث تشعر أنه لا يمكن لأحد أن يضع الحوار على ألسنة الأبطال بل هي أقوالهم التي لاتنفك عنهم إلى يوم القيامة؛ لذا كان له أثر بعيد وكبير في إحياء المشاهد التي

(١) الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني). في المفردات في غريب القرآن. تحقيق محمد سيد كيلاني. ط. بدون. دار المعرفة للنشر. بيروت. بدون تاريخ (حور).

(٢) سورة الانشقاق. الآية ١٤.

(٣) سورة المجادلة. الآية ١.

(٤) سورة الرحمن. الآية ٧٢.

(٥) الأصفهاني. في المفردات في غريب القرآن (حور).

تضمّنها الحدث، وفي الاقتدار على التأثير بالكلمة تأثيرًا لا يمكن أن يبلغه التأثير بالصورة والحركة والكلمة معًا في أي عمل فني يعتمد على الصورة والحركة حتى أنه يمكن القول:

"إننا لا نسمع الكلمات حتى نجد صاحبها معها ينطق بها وهي محمَّلة بخلجات ونبرات صوته وما انطبع على ملامحه من آثار للانفعال".(١)

أما الحركة في القرآن فهي قرينة الحوار لأنها تُعطي للأحداث حركة ماديّة مضافًا إليها العواطف والخواطر والأفكار، لتصبح حركة ماديّة ومعنويّة معًا.

ولكنه مع ذلك يراعى اختلاف الحركة وتلوّنها بلون الموضوع والمضمون والحدث التاريخي، ويأتي الإعجاز القرآنيّ هنا من ضبط الحركة الماديّة والنفسيّة معًا ضبطًا في غاية الإحكام فيُنطِق ما في الصدور ويفرج عن خبايا النفوس، فيأخذ بها الأحداث ويجريها على حسابها ليكون التلاحم بين المواقف والأحداث، أما الحوار فدوره هنا هو لإشاعة الحركة في هذه الأحداث وتلك المواقف. (٢) "وهو يعتمد على مقولات القائلين ونقلها على ألسنتهم كأنّما يُقدِّم وثيقة لفظيّة وصورة صوتيّة معتمدة كدليل للحكم بالصدق قياسًا عليها".(٣)

أما طريقة الحوار القرآني فقد يدور على شكل خواطر نفسيّة تلم بالشخص وتنقله من طور إلى طور ليتخلّص من عقيدة ويدخل في أخرى(٤)، وقد يكون بين اثنين أو أكثر مصدَّرًا بقال أو قالا أو قالتا أو قالوا.

(١) رضا (فؤاد علي). في (من علوم القرآن). ط.١. دار اقرأ. بيروت، ١٩٨٢م. ص ١٩٣.

(٢) * المرجع السابق. ص ١٩٢ (بتصرُّف).

(٣) * المرجع السابق. ص ١٩٢.

(٤) تقي الدين (السيد). في (من الوجهة الأدبية في دراسة القرآن الكريم). ط. بدون. ج ١. نهضة مصر للطباعة والنشر. القاهرة. بدون تاريخ. ص ١٣٧. (بتصرُّف).

كما يأتي الحوار ملوَّنًا بألوان مختلفة حسب مقتضى الحال، فهو مختصر للأحداث حينًا، ويعرضها عرضًا سريعًا حينًا آخر، تُطوى فيه التفاصيل وتغني فيه الإشارة عن العبارة، ويُفصِّل الأمر أحيانًا وذلك من زاوية تصويره للموقف(١)، ومن أمثلة الحوار المفصّل للمشهد قصّة النبي موسى – عليه السلام– مع ابنتي شعيب(٢)، "ومن المشاهد الطويلة التي لم يتقصَّ فيها القصص القرآني كل جزئيات الأحداث قصة سيّدنا يوسف – عليه السلام– حيث نزل القرآن فمثلاً الفترة ما بين التقاط يوسف ودخوله بيت العزيز، وأيضًا دخوله على ذروة الحدث وإغفاله ما كان بين يوسف وامرأة العزيز من قبل مراودته، كذلك في انتقال صاحبه في السجن من بيت الملك إلى يوسف في السجن، وكذلك في أمر رحلات أبناء يعقوب إلى مصر، كلّها فترات بها فجوات تركها عمدًا القرآن الكريم ليملأها القاريء بخياله فيتجدّد نشاطه وتستيقظ ملكاته".(٣) ومن طرق الحوار، تلك الطريقة المعتمدة على الاستفهام الإنكاري حيث يُعتمد فيه على عرض مجموعة من التساؤلات على المخاطبين، وتهدف هذه الطريقة إلى إثبات قضيّة الألوهيّة لله تعالى وحده(٤)، قال تعالى: (٥) ﴿ **أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ**

(١) * فؤاد علي رضا. في (من علوم القرآن). ص ١٩٣ (بتصرُّف).

(٢) سورة القصص. الآيات ٢٣)٢٥.

(٣) * فؤاد علي رضا. في (من علوم القرآن). ص ١٩٣.

(٤) باطاهر (د. بن عيسى). في طرق العرض في القرآن الأهداف والخصائص الأسلوبيّة. حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية. الرسالة ١٧٨. الحولية ٢٢. الكويت، ٢٠٠١م. مجلس النشر العلمي. جامعة الكويت. ص. ٤٤ (بتصرُّف).

(٥) سورة الطور. الآيات ٣٥)٤٣.

يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

كذا قوله تعالى:(١) ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ .

ومثل هذه التساؤلات واردة كثيرًا في القرآن الكريم، وهي تأخذ طريقة الحوار الهادىء البعيد عن الجدل السيء، ولعلّ الهدف هو إلزام الخصم بالحجة وإفحامه بالبرهان القاطع(٢).

ومن طرق الحوار في القرآن الكريم أسلوب الأخذ والرد القائم على الاستدلال بطريقة هادئة، لتدخل الخصوم في محاورة عقليّة لمناقشة موضوع الرسالة التي أنكروا مصدرها الإلهي، وهي طريقة تدعو إلى التفكير وتحث على استخدام كل القدرات الكامنة في النفوس للوصول إلى الحقيقة(٣) ومنها قوله تعالى: (٤) ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ، وقوله تعالى: (٥)﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا

(١) سورة القمر. الآيات ٤٣)٤٤.

(٢) انظر سورة الواقعة. الآيات ٦٣)٦٤، ٦٨)٦٩، ٧١)٧٢.

(٣) * د. بن عيسى باطاهر. المرجع السابق.ص ٤٢ (بتصرُّف).

(٤) سورة النمل. الآية ٦٤.

(٥) سورة الأحقاف. الآيات ٨)١٢.

تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾.

وطريقة أخرى من طرق الحوار في القرآن، تورد أقوال المنكرين لليوم الآخر، ثم تأتي بالردود في شكل مناقشة فكريّة لها أهدافها بحيث يعرض كل طرف حججه وأدلّته لإفحام الطرف الآخر مع إتّباع المنطق والعقل في الرد على الخصوم؛ فيرد الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان مع إعطاء الفرصة للطرف الأخير للرد والتفكير وتستخدم هذه الطريقة لإثبات قضيّة البعث والجزاء[1]. منها قوله تعالى:[2]

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾.

(١) * د. بن عيسى باطاهر. المرجع السابق. ص ٤٧ (بتصرُّف).

(٢) سورة يس. الآيات ٧٨)٨٢. كذا سورة البقرة. الآية ٢٥٩.

ومن طرق الحوار البليغة في القرآن أسلوب الجدل والحوار وحصر أوصاف الموضوع وبيان أنه ليس في أحد هذه الأوصاف خاصيّة تساعد على قبول الدعوى فيه إلاّ ذلك لإبطال حجة الخصم ويُسمَّى ذلك بأسلوب السبر والتقسيم ويستخدم في موضوعات التشريع مثل النسخ والحلال والحرام وتحويل القبلة...الخ.(١)

من ذلك قوله تعالى: (٢) ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾.

وتأتي طريقة التشويق وإثارة المشاعر عن طريق المفاجآت وبث العبر والعظات في الحوار لسرد القصص القرآني في أخبار الأمم السابقة منذ آدم – عليه السلام– إلى البعثة المحمَّديّة صلوات الله وسلامه على نبيّها المصطفى الأمين؛ لتعطينا هذه الطريقة عنصر الإمتاع الذي لا غنى عنه في إنجاح القصة وتوصيلها إلى المخاطبين متكاملة الأجزاء واضحة المعالم. (٣)

يبدو ذلك في قوله تعالى: (٤) ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ

(١) * د. بن عيسى باطاهر. المرجع السابق. ص ٥٠ (بتصرُّف).

(٢) سورة الأنعام. الآيتان ١٤٣)١٤٤.

(٣) * د. بن عيسى باطاهر. المرجع السابق. ص ٤٩ (بتصرُّف).

(٤) سورة المائدة. الآيات ١١٦)١١٨.

أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾.

الأطراف المتحاورة في القرآن:

بعد تتبع آيات الحوار في القرآن الكريم من خلال قراءة سورهِ الكريمة اتَّضح أن التحاور في القرآن كان صادرًا من أطراف مختلفة نحاول هنا الإشارة إليها – بقدر الطَّاقة– وحسب ما توصّل إليه المجهود الشخصي المتواضع:

حوار مع المولى عزَّ وجل:

وفي هذا الحوار قد يبدو الطرف الآخر منصوصًا عليه أو مفهومًا من السياق.

ونكتفي هنا بذكر مثالٍ لكل نوع ثم الإشارة إلى أرقام الآيات في السور على هذا النوع. فمن الحوار الواضح مع المولى عزّ وجل حواره مع الملائكة في قوله تعالى:(١) ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ

(١) سورة البقرة. الآيات ٣٠)٣٢.

عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾.

وقوله تعالى:(١) ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

ومن الحوار مع المولى عزّ وجل حواره مع أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام(٢)، كذا حواره مع رسوله المصطفى – صلى الله عليه وسلّم– والذي بدأ من خلال الأسئلة المُلقاة عليه في الآيات الكريمة لتثبيته والتسرية عنه وتسليته، كما جاء في قوله تعالى:(٣) ﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟

(١) سورة سبأ. الآيات ٤٠)٤٢.

(٢) سورة البقرة. الآيات ١٢٤)١٢٥)١٢٦.

(٣) سورة الفجر. الآيات ١)٤، أيضًا سورة البلد. الآيات ٥)١٨، وسورة والضحى. الآيات ٦)٨، وسورة الشرح. الآيات ١)٢، وسورة العلق. الآيات ٩)١٥، وسورة الفيل. الآيات ١)٥ ومثلها كثير في القرآن.

ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤ ﴾.

وحواره – عزّ وجل– الصريح معه – عليه الصلاة والسلام– أثناء دعائه(١).

كذا حواره مع بقيّة الرسُل مثل حواره مع موسى عليه السلام في قوله تعالى:(٢) ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ۝١١ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝١٢ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ۝١٣ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝١٤ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ۝١٥ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝١٧ ﴾.

ومن الحوار مع المولى – عزّ وجل– حواره – سبحانه – مع الرُّسل يوم القيامة قال تعالى: (٣) ﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝١٠٩ ﴾. وحواره – سبحانه – مع عيسى

(١) انظر سورة "المؤمنون". الآيات ٩٣)٩٨.

(٢) سورة الشعراء. الآيات ١٠)١٧ كذا حواره عزّ وجل معه عليه السلام في سورة القصص. الآيات ٣٠)٣٥، وسورة الدخان. الآيات ٢٢)٢٤ وغيرها كثير في القرآن.

(٣) سورة المائدة. الآية ١٠٩.

– عليه السلام– عندما طلب منه أن ينزل عليهم مائدة من السماء[١]، كذا حواره – سبحانه– مع آدم وزوجه[٢].

ومن هذا الحوار أيضًا حواره – عزّ وجلّ– مع إبليس[٣]، وحواره – سبحانه – مع الأمة الضالة يوم القيامة[٤]، وحواره – سبحانه – مع بني آدم[٥]، وحواره – سبحانه– مع المشركين[٦]، وحواره أيضاً – سبحانه – مع الكافرين يوم القيامة عند حسابهم[٧]. وهو موضوع الدّراسة في البحث.

وسوف يتناول البحث هذه الآيات الأخيرة بالدراسة والتحليل البلاغي – إن شاء الله–.

هذا، ومن الأطراف الأخرى المتحاورة في القرآن:

حوار الرسل – عليهم جميعًا الصّلاة والسلام– مع أقوامهم، أو من تعاملوا معهم، وقد شغل هذا الحوار عددًا كثيرًا من الآيات في القرآن الكريم نذكر هنا – على سبيل المثال – حوار سيّدنا إبراهيم – عليه السلام – مع أبيه وقومه[٨]، وحواره مع ابنه إسماعيل [٩]، وحواره مع الملائكة واشتراك زوجه في ذلك الحوار[١٠].

(١) السورة السابقة. الآيات ١١٤)١١٩.
(٢) انظر ذلك في سورة الأعراف. الآيات ٢٢)٢٥.
(٣) انظر ذلك في السورة السابقة. الآيات ١٢)١٨.
(٤) انظر ذلك في السورة السابقة. الآية ٣٨.
(٥) انظر ذلك في السورة السابقة. الآيتان ١٧٢)١٧٣.
(٦) انظر ذلك في سورة الزخرف. الآيتان ٣١)٣٢، والآيتان ٣٨)٣٩.
(٧) انظر سورة "المؤمنون". الآيات ١٠٥)١١٧.
(٨) انظر سورة الصافات. الآيات ٩٥)٩٧.
(٩) انظر السورة السابقة. الآية ١٠٢.
(١٠) انظر السورة السابقة. الآيات ٢٥)٣٧.

كما ورد في القرآن أيضًا حوار النبي لوط – عليه السلام – مع قومه في آيات كثيرة[١]، وحواره مع الملائكة المكلَّفين بتعذيب قومه[٢]، وحوار النبي يوسف – عليه السلام – مع أبيه[٣] وحواره مع امرأة العزيز[٤] وحواره – عليه السلام– مع صاحبيّ السجن لتأويل رؤياهما[٥]، وحواره مع من بلَّغه رؤيا الملك[٦]، وغير ذلك من الحوار الدائر في هذه السورة الكريمة مع النبي المذكور[٧].

ومن الحوار الوارد في القرآن الكريم الحوار الدائر بين النبي شُعيب – عليه السلام – وقومه في مدين (أصحاب الأيكة) [٨]، وأيضًا من الحوار الوارد في القرآن، حوار موسى – عليه السلام – مع فرعون[٩]، وحوراه مع السحرة [١٠] وحواره مع قومه[١١]، وحواره – عليه السلام – مع ربّه – عزّ وجل– في الدعاء[١٢].

(١) سورة الأعراف. الآيات ٨٠)٨٢، وسورة العنكبوت. الآيتان ٢٨)٢٩، وسورة النمل. الآيات ٥٤)٥٦، وسورة هود. الآيات ٧٨)٨٠.

(٢) انظر سورة الحجرات. الآيات ٦٢)٦٥.

(٣) انظر سورة يوسف. الآيات ٢)٦.

(٤) انظر السورة السابقة. الآيات ٢٣)٢٥، ٢٦.

(٥) انظر السورة السابقة. الآيات ٣٦)٤٢.

(٦) انظر السورة السابقة. الآيات ٤٦)٤٩.

(٧) انظر السورة السابقة. الآيات ٥٤)٥٥، ٥٨)٦١، ٨٨)٩٣.

(٨) انظر سورة هود. الآيات ٨٤)٨٦، والآيات ٨٨)٩٩، وانظر أيضاً سورة الشعراء. الآيات ١٧٦)١٨٦.

(٩) انظر سورة الأعراف. الآيات ١٠٤)١٠٦.

(١٠) انظر السورة السابقة. الآيتان ١١٥)١١٦.

(١١) انظر السورة السابقة. الآيات ١٢٨)١٢٩، ١٣٨)١٣٩، ١٤٢)١٤٤، وسورة يونس. ٨٣)٨٦.

(١٢) انظر سورة الأعراف. ١٥٥)١٥٦، وسورة طه. الآيات ٩)٣٦، وسورة الدخان. الآيات ٢٢)٢٩ وغيرها.

كذا من حوار القرآن حوار النبي داوود – عليه السلام – مع الخصمين المتحاكمين إليه[١]، ومن حوار الأنبياء الوارد في القرآن حوار النبي سليمان – عليه السلام– مع النّملة[٢] والهدهد[٣] وحواره مع الملأ حوله[٤]. كذا ورد في القرآن حوار النبي زكريّا – عليه السلام– مع مريم[٥]، وحواره مع ربّه – عزّ وجل– بعد طلبه الذريَّة[٦].

ومن حوار الأنبياء في القرآن الكريم حوار النبي عيسى – عليه السلام– مع الحواريين[٧] وحواره مع ربّه – عزّ وجل–[٨] وحواره مع بني إسرائيل[٩]. كذا حوار النبي نوح – عليه السلام– مع قومه[١٠]، وحواره مع ربّه – عزّ وجلّ–[١١]، كذا

(١) انظر سورة ص. الآيات ٢٢)٢٤.

(٢) انظر سورة النمل. الآيتان ١٨)١٩.

(٣) انظر السورة السابقة. الآيات ٢٠)٢٨.

(٤) انظر السورة السابقة. الآيات ٣٦)٤١.

(٥) انظر سورة آل عمران. الآية ٣٧.

(٦) انظر السورة السابقة. الآيتان ٤٠، ٤١.

(٧) انظر السورة السابقة. الآيتان ٥٢، ٥٣، وسورة الصف. الآية ١٤، وسورة المائدة. الآيات ١١٢)١١٤.

(٨) انظر سورة المائدة. الآيات ١١٦)١١٩.

(٩) انظر سورة الصف. الآية ٦.

(١٠) انظر سورة الأعراف. الآيات ٥٩)٦٣، وسورة هود. الآيات ٢٥)٢٨، وسورة الشعراء. الآيات ١٠٦)١١٦، وسورة "المؤمنون". الآيتان ٢٣)٢٤.

(١١) انظر سورة هود. الآيات ٤٥)٤٨.

حوار النبي هود – عليه السلام– مع قومه (عاد) (١)، حوار النبي صالح – عليه السلام– مع قومه (ثمود) (٢).

ومن الحوارات الواردة في القرآن الكريم حوار مع نبيِّنا محمد – ﷺ– خير الرسل وخاتمهم ذلك الحوار الذي بدا من خلال الأسئلة التي وُجِّهت إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلّم– وكان ينزل عليه الوحي بالرد عليها لأنه ما كان – صلّى الله عليه وسلّم– ينطق عن الهوى، قال تعالى:(٣)﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾.

وأمثال هذا الحوار كثير في القرآن الكريم نذكر بعضًا من آياته هنا ونشير إلى أرقام بعضها الآخر لكثرتها، فمنها قوله تعالى:(٤)﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۝٢١٥ ﴾.

ومثلها قوله تعالى:(٥)﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ

(١) انظر سورة الأعراف. الآيات ٦٥)٧١، وسورة هود. الآيات ٥٠)٥٧، وسورة الشعراء. الآيات ١٢٤)١٣٨.

(٢) انظر سورة الأعراف. الآيات ٧٣، ٧٩، وسورة الشعراء. الآيات ١٤٢)١٥٧.

(٣) سورة النجم. الآيتان ٣)٤.

(٤) سورة البقرة. الآية ٢١٥.

(٥) سورة البقرة. الآية ٢١٧.

عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

ومن هذه الآيات قوله تعالى[1] مبيِّنًا أسئلة المنافقين له وما ينبغي أن يجيب به رسـول الله – ﷺ– ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾.

ومنها قوله تعالى:[2] ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾.

ومثل هذه الآيات كثير في القرآن الكريم التي يُعلِّم فيها الله – عزَّ وجل– نبيَّه الكريم الإجابة على الأسئلة في أسلوب حواري جميل يطرد الملل ويخلقُ الحيويّة

(١) سورة آل عمران. الآية ١٥٤.

(٢) سورة المائدة. الآية ١٧.

والجدّة والتشويق في الآيات التي لا تخلو من منهج تربوي أو حد شرعي أو تفكّر في ملكوت الله – عزّ وجل–(١).

أما حواره _ﷺ_ مع زوجه فقد كان صريحًا واضحًا لأنه عزّ وجل قد نبَّأه به قبل التحاور بينهما(٢).

هذا وقد ورد في القرآن الكريم حوار بين أطراف مختلفة منها ما هو بين البشر ومنها ما هو بين غيرهم نذكر هنا – على سبيل المثال لا الحصر– حوار المؤمنين مع بعضهم بعضًا في الجنة(٣)، وحوار المتقين مع ملائكة الجنة(٤)، وحوار أهل الجنة مع الملائكة(٥)، وحوار أصحاب الجنّة مع أصحاب النار(٦)، وحوار أصحاب اليمين مع المجرمين في سقر(٧)، وحوار أصحاب النار مع أصحاب الجنة(٨)، وحوار الكفّار مع بعضهم بعضًا(٩)، وحوار الكفّار المكذّبين في النار مع رؤسائهم، وحوار الرؤساء مع بعضهم بعضًا(١٠)، وحوار الكفّار مع خزنة جهنم(١١).

(١) انظر سورة الأعراف. الآيات ٢٨)٣٠، والآيات ١٨٧)١٨٨، وسورة التوبة. الآيتان ٦٥)٦٦، والآية ٨١، وسورة يونس. الآيتان ١٥)١٦، والآيتان ٤٨)٤٩، وسورة الصافات. الآيات ١٥)١٨، وسورة الزمر. الآيات ٣٨)٤٠، وسورة فصّلت. الآيات ٥)١٢، وسورة الزخرف. الآيات ٩)١٣، وسورة الفتح. الآيتان ١١)١٢، والآية ١٥.

(٢) انظر سورة التحريم. الآيتان ٤)٥.

(٣) انظر سورة الصّافات. الآيات ٥١)٦٠.

(٤) انظر سورة الزمر، الآيتان ٧٣)٧٤.

(٥) انظر سورة الأعراف. الآية ٤٣.

(٦) انظر السورة السابقة. الآية ٤٤.

(٧) انظر سورة المدثّر. الآيات ٣٩)٤٧.

(٨) انظر سورة الأعراف. الآيتان ٥٠)٥١.

(٩) انظر سورة ص. الآيات ٤)٨.

(١٠) السورة السابقة. الآيات ٥٩)٦٤.

(١١) انظر سورة الزمر. الآيتان ٧١)٧٢، كذا انظر سورة الزخرف. الآية ٧٧، وسورة غافر. الآيات ٤٩)٥٠.

كذا حوار اليهود والنَّصارى مع بعضهم بعضًا ورد المولى – عزّ وجل– عليهم(١)، وحوار المنافقين مع بعضهم ومن حولهم والرد عليهم(٢)، وحوار الملأ من قوم فرعون مع بعضهم، وحوارهم مع فرعون(٣)، ثم حواره مع السحرة(٤)، وحواره مع المؤمنين بموسى من قومه(٥)، وحوار الرجل المؤمن من آل فرعون مع فرعون وقومه(٦)، وحوار الكافر مع والديه المؤمنين(٧)، وحوار قوم عاد مع بعضهم بعضًا ورد المولى عزّ وجل عليهم(٨)، وحوار لقمان الحكيم مع ابنه(٩)، وحوار أخوة يوسف مع بعضهم بعضًا(١٠)، وحوارهم مع أبيهم(١١)، والحوار الدائر بين صاحب الجنتين في سورة الكهف(١٢)، وحوار ذي القرنين مع القوم(١٣)، ومن الحوار الجميل في القرآن حوار النفس المشركة مع نفسها وتأنيبها لها ساعة العذاب، ورد المولى – عزّ وجل– عليها(١٤)، ومن الحوار أيضًا حوار بلقيس مع قومها في سبأ(١٥).

(١) انظر سورة التوبة. آية ٣٠.

(٢) انظر السورة السابقة. الآيات ١٢٤)١٢٧.

(٣) انظر سورة الأعراف. الآيات ١٠٩)١١٢، والآية ١٢٧.

(٤) انظر السورة السابقة. الآيات ١١٢)١١٤.

(٥) انظر السورة السابقة. الآيات ١٢١)١٢٦.

(٦) انظر سورة غافر. الآيات ٢٨)٤٤.

(٧) انظر سورة الأحقاف. الآية ١٧.

(٨) انظر السورة السابقة. الآيتان ٢٤)٢٥.

(٩) انظر سورة لقمان. الآيات ١٣)١٩.

(١٠) انظر سورة يوسف. ا لآيات ٨)١٠.

(١١) انظر السورة السابقة. الآيات ١١)١٤، والآية ١٧.

(١٢) انظر سورة الكهف. الآيات ٣٢)٤١.

(١٣) انظر السورة السابقة. الآيات ٩٤)٩٨.

(١٤) انظر سورة الزمر. الآيات ٥٦)٥٩.

(١٥) انظر سورة النمل. الآيات ٢٩)٣٥.

ولعلّ من غريب الحوار أن نسمع قولاً لنملة ويكون الرد عليه من أحد الأنبياء وهو سليمان – عليه السلام–[1] بابتسامته ودعاء الله _عزّ وجلّ_، وذلك لما آتاه الله من علمٍ بكل شيء.

وهكذا نلاحظ من العرض السابق لمعظم مواضيع الحوار الوارد في القرآن الكريم، نلاحظ كثرة آيات الحوار في القرآن وورودها في معظم سوره الكريمة، وهذا يدل على أهمِّيّة هذا الأسلوب في القرآن الكريم... وبالتالي في أي عملٍ يعتمد على اللغة في توصيل الفكرة؛ لما له من أثر فعّال في توضيح الفكرة الغامضة وإكسابها رونقًا وحيويّة وتفاعلاً من المتلقي، فضلاً عن سلاسة الأداء التي تهب السامع تشويقًا يطرد الملل ويمنع السآمة التي قد تصيبه من كثرة السَّرد وتتابع الأحداث.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) انظر السورة السابقة. الآيتان ١٨)١٩.

ثانياً: دراسة تحليليّة بلاغيّة لمشهد حواري من مشاهده

(خواتيم سورة "المؤمنون")

وهي الآيات من (٩٩ – ١١٨)

*قال تعالى: (١)﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾

(١) سورة "المؤمنون". الآيات ٩٩)١١٨.

قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾.

دراسة الآيات وتحليلها بلاغيًّا

أ- المعنى العام:

تحكي الآيات الكريمات مشهدًا معبّرًا ومؤثّرًا في من يسمعه ويعيه ألا وهو مشهد احتضار أحد الكافرين أو المفرِّطين عند موته وما يقوله معبِّرًا عن حسرته لهذا التفريط الذي صدر منه في مرحلة حياته في الدنيا؛ إذ يطلب العودة إلى الدنيا ليصلح ما أفسد فلا يُجاب على ذلك ولا يُلتفت إلى كلمته – التي لا صدق فيها ولا عمل–، لأنه لو رُدّ إلى الحياة لما فعل ما تمنّى[1]، وقيل إنها كلمة لا بدّ أن يقولها، بينما يمنعهم حاجز من العودة حتى يأتي يوم البعث والخروج من القبور، وقيل "حجاب بين الميت والرجوع إلى الدنيا"[2]، "أو بين الدنيا والآخرة"[3].

(١) ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي). في تفسير بن كثير. ط. بدون. بيروت. دار الفكر للطباعة والنشر، سنة ١٩٨١م. ج٣. ص ٢٥٦ (بتصرُّف).

(٢) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير). في جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ط. ٣. القاهرة. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، سنة ١٩٦٨م. ج ١٨. ص ٥٢ (بتصرُّف).

(٣) * المصدر السابق. ج ١٨. ص ٥٢.

فإذا كانت النفخة الأولى فلن يبقى على الأرض شيء ولن يسأل أحد بنسبٍ شيئًا[1]، أي لن تنفع أحدًا قرابته من الآخر فلا يستفيد الوالد من ولده ولا الولد من والده ولا الأم من ولدها، قال تعالى: [2]﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾.

قال عبدالله بن مسعود: "إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى منادٍ: ألا من كان له مظلمة فليجيء فليأخذ حقّه، قال فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته وإن كان صغيرًا ومصداق ذلك في كتاب الله، قال الله تعالى:﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ رواه بن أبي حاتم".[3]

ومع ذلك فقد ذكرت الآيات الكريمات أن من رجحت حسناته على سيّئاته ولو بحسنة واحدة فأولئك الذين نجوا من النار وفازوا فدخلوا الجنة، أما من ثقُلت موازين سيّئاته على حسناته فأولئك الذين خسروا أنفسهم؛ فخابوا وهلكوا وباءوا بفشل وصفقة خاسرة[4]، وهي نار جهنم – والعياذُ بالله– يمكثون فيها مكوثًا دائمًا لا يرحلون عنها ولا يُبعدون. بل تلفح وجوههم النار حتى تتقلّص الشفتان وتتشمّر عن الأسنان – كما تُرى الرؤوس المشويّة– وقيل تتقلَّص الشفة العليا حتى تبلغ وسط

(١) * المصدر السابق. ج ١٨. ص ٥٥ (بتصرُّف).

(٢) سورة عبس. الآيات ٣٤)٣٧.

(٣) ابن كثير. تفسير ابن كثير. ج ٣. ص ٢٥٧.

(٤) * المصدر السابق. ج ٣. ص ٢٥٨ (بتصرُّف).

رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرّته[١]، وليت الأمر يتوقّف عند هذا العذاب الحسي، بل يتعرّضون للتأنيب والخزي الذي يصاحبه؛ فيُسألون[٢] ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾.

وهنا يُغرُّ الكافرون ويظنّون أن من حقِّهم الرد والدّفاع أو الاعتذار، فلا يقبل منهم حديث، ولا يُرد عليهم إلاّ بما يستحقونه من ألفاظ لائقة بفعلهم، فيؤمرون بالخرس والسكوت؛ لأنّهم لم يكونوا كفارًا فحسب بل كانوا ساخرين من المؤمنين الطالبين للمغفرة والرحمة من ربِّهم – عزَّ وجل–، بل بلغت السخرية بهم أنهم نسوا ذكر ربهم وعقابه فظلّوا منهم يضحكون، فما كان مجازاة ربِّهم لهم، إلاّ الفوز بالجنّة وخسارة المستهزئين بهم[٣]، ثم يستمر الحوار في هذا المشهد المؤثر مع الكافرين؛ فيُسألون عن مدّة بقائهم في الأرض، فلا يستطيعون معرفة هذا الوقت على التحديد، لشدّة هول يومهم ذلك وشدّة عذابهم فيه، حتى إنهم ليظنّون أنهم لم يقضوا في الدنيا إلاّ يومًا أو بعض يوم – ولعلّ بعضهم قد مكث فيها الزمن الطويل – ومع ذلك يطلبون من المولى – عزّ وجل– أن يسأل العادِّين – أي العالمين بالعدد والحساب أو الملائكة[٤]، فلا يكون الجواب عليهم إلاّ إعلامهم بأنهم ما لبثوا إلاّ فترة قليلة – لو علموا ذلك–.

(١) الزمخشري (أبو القاسم جار الله بن محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي). في الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تحقيق محمد الصادق قمحاوي. ط. الأخيرة. القاهرة. شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، سنة ١٩٧٢م. ج ٣. ص ٤٣ (بتصرُّف).

(٢) سورة "المؤمنون". الآية ١٠٥.

(٣) قطب (سيد قطب).في (في ظلال القرآن). ط. الشرعية الحادية عشر. جدة. دار الشروق، سنة ١٩٨٢م. ج ١٨. ص ٢٣٨١ (بتصرُّف).

(٤) الطبري. في جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج ١٨. ص ٦٣ (بتصرُّف).

ثم يأتي الاستفهام في صيغة تعجّب شديد من أمر هؤلاء الكفرة فيُقال لهم: أفحسبتم أنّما خلقناكم لعبًا وباطلاً وأن عودتكم إلى ربّكم – بعد مماتكم– أحياء فتجزون على أعمالكم لن تكون؟! أو ظننتم أنكم خُلقتم عبثًا بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا وأنكم لن تعودون إلى الدار الآخرة؟[١]

وهنا يقدّس المولى – عزّ وجل– نفسه عن أن يخلّق شيئًا عبثًا لأنه الملك الحق [٢]﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦ ﴾.

"وذكر سبحانه العرش لأنه سقف جميع المخلوقات ووصفه بأنه كريم، أي حسن المنظر بهي الشكل".[٣]

ثم تختم الآيات، بل يختم الحوار بخاتمة تؤكِّد وحدانيته – عزّ وجل– وتتوعّد من لا يعترف بها أو يعمل بموجبها؛ لأنَّه من يدعو مع معبوده إلهًا آخر بلا حجة أو بيّنة فإن حساب عمله السيء عند ربّه – عزّ وجل– وهو – سبحانه– موفّيه جزاءه عند قدومه إليه، لأنه لن ينجح أهل الكفر بالله عنده، ولن يدركوا الخلود والبقاء في النعيم. [٤]

ب- مناسبة الآيات للسياق في السورة الكريمة:

يلاحظ أن الآيات الكريمات تتضمّن مشهدًا حواريًا حيًّا، يملأ السياق حركة وتأثيرًا في قارئة أو سامعه على حد سواء، ولا شك أن لهذا المشهد الحواري مناسبة واضحة في سياق الآيات قبله، فالمعلوم أن الآيات في بداية السورة قد ذكرت تأكيدًا واضحًا لفلاح المؤمنين الذين وصفِوا بصفات واضحة وصريحة [٥] ستكون سببًا

(١) ابن كثير. في تفسير بن كثير. ج ٣. ص ٢٦٠ (بتصرُّف).

(٢) سورة "المؤمنون". الآية ١١٦.

(٣) ابن كثير. في تفسير بن كثير. ج ٣. ص ٢٦٠.

(٤) الطبري. في جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج ١٨. ص ٦٤ (بتصرُّف).

(٥) انظر سورة "المؤمنون". الآيات من ١)١١.

لفوزهم بجنّة الفردوس التي أُعدّت لهم، ولكل مصدِّق بآيات الله مؤمن بوحدانيته وألوهيته.. ثم توالت الآيات المتحدّثة عن قدرة الله المثبّتة لوحدانيته وألوهيته... (١)، ثم تلا ذلك الحديث عن الرسل وأقوامهم وما أصابهم بسبب تكذيبهم لهم وإصرارهم على إتّباع ما ألفوا عليه آباءهم. (٢)

واستمرّت الآيات في سرد أحوال الأمم المكذّبة حتى وصلت إلى من دعوا إلى دين الإسلام؛ فمنهم من آمن بالبعث ومنهم من عارض وجادل، وأمر سبحانه وتعالى نبيّه الكريم – صلّى الله عليه وسلّم– إذا جعله يرى ما يوعدون من عذاب أن يدعوه بأن ينجِّيه من هذا العذاب؛ فهو قادر _سبحانه_ على أن يريه كل ما وعدهم من عذاب وليس عليه – صلّى الله عليه وسلّم– قبل ذلك إلا تحمُّل أذاهم والصّبر عليه والاستعاذة من نزغات الشيطان الذي قد تسبَّب في دفعهم إلى إيذائه – عليه السلام–... وهنا تأتي آيات الحوار لتضفي على أسلوب السرد السابق هذه الحيويّة والحركة فتدعوه إلى استحضار الموقف العظيم، موقف حضور أحدهم الموت وطلبه العودة حتى يعدِّل كل ما أساء، ولكنه يُجاب بالزّجر والنهر لأنّه لا يستحق إلاّ ذلك، وتتوالى الجمل الحواريّة المعبّرة عن الموقف في ذلك اليوم العصيب الذي يطلبون فيه العودة فيُرفض طلبهم بسبب كفرهم وسخريّتهم من المؤمنين... إلى آخر ما بيّنته الآيات الكريمات. (٣)

ج- دراسة الألفاظ والتراكيب:

لنعُد هنا إلى نص كل آية كريمة – في المشهد الحواري– لفظة لفظة، ثم إلى تركيبها، لنحاول معرفة ما تضمّنته من بلاغة عالية وصياغة فذّة في عرض المعاني

(١) انظر السورة السابقة. الآيات من ١١)٢٢.

(٢) انظر السورة السابقة. الآيات ٢٣)١١٨، كذا انظر ما ذُكر عند الصعيدي (عبد المتعال الصعيدي). النظم الفني في القرآن. ط. بدون. القاهرة. مكتبة الآداب ومطبعتها بالجمامية. بدون تاريخ. ص ٢٠٩)٢١٠ (بتصرُّف).

(٣) المرجع السابق. ص ٢١١)٢١٢ (بتصرُّف).

الجليلة التي ذكرها لنا السياق الكريم والتي لا يمكن أن تتوفّر في غير أسلوب القرآن الكريم.

قال تعالى: [1] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠ ﴾.

نلاحظ بداية المشهد في الآية الكريمة بالحرف (حتّى) وهي حرف له عمل مختلف – حسب السياق– فقد يكون عاطفًا أو ناصبًا أو جارًا بمعنى انتهاء الغاية [2]. وفي الآية اختلفت الآراء فيها، فقيل إنها متعلِّقة بـ(يَصِفُون) قبلها في قوله تعالى:﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ (المؤمنون:٩٦)، بمعنى لايزالون على سوء الذكر إلى هذا الوقت، والآيتان بعد هذه الآية فاصلتان بينهما على وجه الاعتراض والتأكيد للإغضاء عنهم والاستعانة بالله تعالى على الشيطان حتى لايستنزله – ﷺ– عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم. [3] وهما قوله تعالى:﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴾ (المؤمنون:٩٧، ٩٨).

---

(١) سورة "المؤمنون". الآيتان ٩٩)١٠٠.

(٢) الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق). في كتاب حروف المعاني تحقيق وتقديم. د. علي توفيق الحمد. ط.٢. بيروت. مؤسسة الرسالة. الأردن. دار الأمل، سنة ١٩٨٦م. ص ٦٤ (بتصرُّف).

(٣) الزمخشري. في الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج ٣. ص ٤٢ (بتصرُّف).

وذكر ابن عطيّة أن "حتّى" في هذا الموضع حرف لابتداء الغاية ويحتمل أن تكون غاية مجرَّدة بتقدير كلام محذوف، والأول أبين لأن ما بعدها هو المعني به والمقصود ذكره.(١)

وقيل أن "حتّى" غاية في معنى العطف (٢)، وعلّق على ذلك صاحب البحر المحيط بقوله: "والذي يظهر لي أن قبلها جملة محذوفة تكون حتّى غاية لها يدل عليها ما قبلها والتقدير فلا أكون كالكفار الذين تهمزهم الشياطين ويحضرونهم حتى إذا جاء أحدهم الموت..." (٣).

وأرى أن "حتّى" حرف ابتداء (٤) وهذا لا يمنع من أن تكون للغاية – في معناها في السياق–.

وقوله: ﴿ **إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ** ﴾ ذكر الألوسي أن المراد من مجيء الموت هنا ظهور إماراته على أحدهم، وبدت له أحوال الآخرة (٥)، وهو مجاز عقليّ علاقته العموم (٦)، أمّا قوله (أحدهم) فقُصد به أيّ أحد من الكفّار.

---

(١) أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي). في تفسير البحر المحيط. ط. ٢. بيروت. دار الفكر للطباعة والنشر، سنة ١٩٨٢م. ج ٦. ص ٤٢٠ (بتصرُّف).

(٢) المصدر السابق. ج ٦. ص ٤٢١.

(٣) المصدر السابق. ج ٦. ص ٤٢١.

(٤) صافي (محمود). في الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحويّة هامّة. ط.١. بيروت. دار الإيمان. دمشق. دار الرشيد، سنة ١٩٩١م. ج ١٨. ص ٢٠٩ (بتصرُّف).

(٥) الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي). في روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ط. بدون. جديدة ومصحّحة. بيروت. دار الفكر للطباعة والنشر، عام ١٩٨٣م. ج ١٨. ص ٦٢ (بتصرُّف).

(٦) المجاز العقلي: هو إثبات الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له (ملابس له بتأوُّل وله علاقات منها الكليّة والجزئيّة والسببيّة والمسبّبة، وهنا (العموم) أي ذكر عموم الشيء مع إرادة خصوصه. انظر في ذلك: ما جاء عند الخطيب القزويني، في: الإيضاح في علوم البلاغة. شرح وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي. ط.٣. بيروت. دار إحياء الكتب العربية، سنة ١٩٧١م. ج ٢. ص ٩٨ (بتصرُّف).

هذا وقد أفاد المجاز تهويلاً في وقع المعاناة على هؤلاء المفرِّطين بدليل ما جاء بعدها ﴿ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴾ وهو بخلاف ما نجده في آية أخرى مع المؤمنين في قوله تعالى:[1] ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۖ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢ ﴾.

أما قوله ﴿ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴾ فهي طلب من الكافر، فيه التذلّل والخضوع لربّه – عزّ وجل– والملاحظ هنا مجيء لفظ ﴿ رَبِّ ﴾ أي يا رب بدلاً من يا الله وهي أكثر دقّة في موضعها، فالموقف موقف استعطاف وتذلّل ومعلوم أن لفظ "الرب في الأصل تعني التربية وهي إنشاء الشيء حالاً فحالا إلى حدّ التمام يُقال ربّه وربّاه وربَّبهُ"[2] ولايُقال الرَّبُّ مطلقًا إلاّ لله تعالى المتكفّل بمصلحة الموجودات، قال تعالى:[3] ﴿ لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥ ﴾ فالكافر المفرِّط في دينه هنا لسان حاله لا ينطق إلاّ بما هو فيه فليس المجال بالنسبة له إلاّ تذكّر تربية ربّه له منذ أن خلقه إلى أن أدركه الموت، لذا يقول (ربِّ).

أما قوله ﴿ ٱرۡجِعُونِ ﴾ فهي خطاب لله – عزّ وجل– وهي بصيغة الجمع كما نلاحظ، لتعظيم المخاطب – عزّ وجل– وقيل إن المراد به الملائكة؛ إذ قال أحد الكافرين: (ربِّ)، ثم خاطب الملائكة بقوله: ﴿ ٱرۡجِعُونِ ﴾.

(١) سورة النحل. الآية ٣٢.
(٢) الأصفهاني (الراغب الأصفهاني). في المفردات في غريب القرآن (رب).
(٣) سورة سبأ. الآية ١٥.

وسياق الآية يدل على أن القائل هو الكافر، إلاّ أن ابن عباس ذكر أن "من لم يزكِ ولم يحج سأل الرجعة" (١)

أما قوله تعالى ﴿ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ ﴾ فبدأ فيها القول بـ ﴿ لَعَلِّيٓ ﴾ وهي تدلُّ على الترجّي والتّوقّع وتبدو بليغة ودقيقة في موضعها؛ إذ إن المترجّي هنا لايجزم بعمله للصالحات بعد عودته، وإلاّ قال لأعمل صالحًا، فكأنّ الأمر هنا ليس مقطوعًا فيه بالإصلاح بعد الرجعة أيضًا، بل يتوقّع ذلك في رجوعه إلى الحياة فالمعنى في القول ﴿ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ ﴾ أي لعلّي أُسلِم وأعمل صالحًا في حالة إسلامي الذي رفضته من قبل؛ فاشتمل هذا على ترجّي وتوقّع حصول الامتثال واعتراف أكيد بالخطأ فيما مضى، وبهذا يكون القول مشتملاً على إيجاز حذف(٢) وقد فصل بينها وبين قوله ﴿ ٱرۡجِعُونِ ﴾ لشبه كمال الاتصال (٣) ؛ لأنّ قوله:﴿ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ ﴾ هي إجابة عن سؤال مُقدّر بينهما وهو (لِمَ تمنّى الرّجْعة وقال ربّ ارجعون؟) وفي هذا السّؤال والإجابة سرٌّ بلاغيّ وهو بيان الحسرة والألم على ما فرّط في حياته والاعتراف

(١) أبو حيّان الأندلسي.في البحر المحيط. ج ٦. ص ٤٢١.

(٢) إيجاز الحذف:قد يكون المحذوف معنى أو مفرد أو جملة أو عدّة جمل. انظر في ذلك عند: القزويني (محمد بن عبد الرحمن الخطيب).في تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع. ط. الأخيرة. القاهرة. مكتبة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، سنة ١٩٦٥م. ص ٢٠٤ (بتصرُّف).

(٣) من موجبات الفصل، شبه كمال الاتصال، وهو أن تكون الجملة الثانية إجابة عن سؤال فُهم من الجملة الأولى، أو مذكور فيها. انظر ما جاء عند: عباس (د. فضل حسن عباس). في البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني). ط.١. الأردن. دار الفرقان، سنة ١٩٨٥م. ج ١. ص ٣١٧ (بتصرُّف).

بذنوبه في ذلك الموقف العصيب، ثم يكون الرَّد في الآية نفسها بقوله تعالى:[1] ﴿ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

وهنا تبدو القوّة والجزالة في الرد، في عبارة ﴿ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ﴾ وليس أنسب هنا من هذا الزجر بالقول ﴿ كَلَّآ ۚ ﴾ ثم إتباعه بحرف التأكيد إنّ في قوله ﴿ إِنَّهَا ﴾ ثم بالضمير ﴿ هُوَ ﴾ إذ لم يكن التركيب في الجملة هو مجرَّد كلام قاله، بل ﴿ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ﴾ فالتأكيد مع تنكير المسند وإفراده في قوله ﴿ كَلِمَةٌ ﴾ إنّما دلّنا على تحقير وتقليل قيمة هذا الكلام[2] الذي صدر عن المفرّط في جنب الله؛ إذ أن كلامه كلّه وعبارته جميعها لا تعدو أن تكون كلمة لا قيمة لها ولا اعتبار، وليتها كانت كلمة الإخلاص والتوحيد وإنّما كما قال صاحب الظلال: "كلمة تُقال في لحظة الضيق، ليس لها في القلب من رصيد". [3]

وبهذا الموقف تتغيّر الأحوال وتتبدَّل الأمور وتُقام الحواجز بين أمثال هؤلاء وبين الدُّنيا كلّها فيُقام البرزخ إلى يوم البعث قال تعالى: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾.

(١) سورة "المؤمنون". الآية ١٠٠.

(٢) قد ينكّر المسند في الكلام، ويراد من ذلك التقليل. انظر ما جاء عند: أمين (د. بكري شيخ أمين). في البلاغة في ثوبها الجديد. ط. ٣. بيروت، سنة ١٩٩٠م. ج ١. ص ١٥٨ (بتصرُّف).

(٣) الأستاذ سيّد قطب.في (في ظلال القرآن). ج ٤. ص ٢٤٨٠.

ويتقدّم هنا المسند ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم ﴾ للتشويق إلى المسند إليه الذي جاء في السياق بصيغة النكرة ﴿ بَرْزَخٌ ﴾ (١) حتى يظل مجهولاً في كُنْهِهِ مقلّلاً من شأنه وما يحتويه (٢) إلى أن يبعث الله الموتى من برازخهم.

ثم ينقلنا السياق الكريم إلى ساحة جديدة ليصوِّر لنا موقفًا رهيبًا ملؤه الإحساس بالهيبة والجلال والعدل الإلهي، كيف لا؟! وفيه تسقط القيم الدنيويّة فلا أنساب ولا أحساب في ذلك اليوم، إذ يقول – عزّ وجل– بعد ذلك: (٣) ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ** ﴾. "إذا" ظرف لما يُستقبل من الزمان، وهي تدلّ على تحديد الوقت الذي سيتمّ فيه الحدث المذكور، والنفخ في الصور قيل المراد به هنا "النفخة الثانية" التي يُحيى على إثرها الأموات (٤) ويلاحظ هنا الإيجاز في العبارة في قوله ﴿ **فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ** ﴾ أي لا يكون في الآخرة ما يكون منهم في الدنيا في السؤال عن القبيلة والنسب أو القرابة لهول ما هم فيه ولأنه لاينفع إلا العمل، كما تبدو السلاسة

(١) قيل إن البرزخ هو القبر (في الآية)، وقيل هو الحاجز بين المكانين، وقيل هو بقاء مدة الدنيا، وقيل هو عالم بين الدنيا والآخرة تستقر فيه الأرواح فتكاشف على مقرها المستقبل. انظر ما جاء عند: بن عاشور (محمد الطاهر). في تفسير التحرير والتنوير. ط. بدون. تونس. دار سحنون للطباعة والنشر. دون تاريخ. ج ١٨. ص ١٢٤ (بتصرُّف).

(٢) قد ينكّر المسند إليه لأغراض بلاغية، منها التقليل أو التحقير. انظر ما جاء عند: لاشين (د. عبد الفتاح). في المعاني في ضوء أساليب القرآن. ط. بدون. القاهرة. دار الفكر العربي. ص ١٧٩ (بتصرُّف).

(٣) سورة "المؤمنون". الآية ١٠١.

(٤) القرطبي. في تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن. ج ٥. ص ٤٥٤٣.

في التعبير رغم شدّة الموقف الذي تتحدّث عنه الآية الكريمة، وقد يكون ذلك بسبب تقارب المخارج في معظم حروف الألفاظ في الآية فضلاً عن خلوّها من الأحرف الانفجاريّة أو الشّديدة كذا تناسب الألفاظ وتلاؤمها مع بعضها بعضًا في الآية الكريمة، وهذه سمة لطيفة من لطائف القرآن الكريم.

ثم يأتي الإيضاح بعد الإبهام(١) والتفصيل بعد الإجمال ليبدو المعنى في صورتين مختلفتين الإبهام ثمّ الإيضاح ليتمكّن هذا المعنى في النفس فضْل تمكّن لأنّه صادف نفسًا مُتشوّقة إلى معرفته فيبدو الإجمال في قوله تعالى:﴿ **فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ** ﴾ ثمّ يأتي الإيضاح والتّفصيل بقوله:﴿ **فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ** ﴾.

وقوله:﴿ فَمَن ﴾ الفاء عاطفة تفريعيّة(٢)ثم يأتي اسم ﴿ مَنْ ﴾ ليتمّ به التقسيم(٣)العادل في المعنى فيذكر به حال العامل ثم يضيف إليه ما يلائمه ويليق بعمله فمن زادت حسناتهم في موازينهم؛ أفلحوا وصدقوا، ومن كان خلاف ذلك؛ فقد خسر نفسه وأخلدها في النار.

(١) من طرق الأطناب: الإيضاح بعد الإبهام ليرى المعنى في صورتين مختلفتين. انظر ما جاء عند: التفتازاني (سعد الدين مسعود بن عمر). في المطوّل في شرح تلخيص المفتاح. تحقيق د. عبد الحميد هنداوي. ط.١. بيروت. دار الكتب العلمية، سنة ٢٠٠١م. ص ٤٧٩ (بتصرُّف).

(٢) صافي (محمود صافي).في الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه. ج ١٨. ص ٢١١.

(٣) التقسيم: فن بديعي جميل له صور مختلفة. انظر ما جاء في ذلك عند فيود (د. بسيوني عبد الفتاح).في علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع. ط.٢. القاهرة. مؤسسة المختار للنشر. الإحساء. دار المعالم الثقافية، سنة ١٩٩٨م. ص ٢١٥ (بتصرُّف).

ولننظر إلى نص الآية المذكورة مرّة أخرى، فقوله عزّ وجل: ﴿ **فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ** ﴾ نجد السياق الكريم يُكني[1] عن كثرة الأعمال الصالحة بثقل الموازين، فالذي خلق هذه النفوس هو الذي سيضع لها ذلك الميزان، وهو – عزّ وجل– يعلم ما يحرّك داخلها ويستجيش مشاعرها فاختيار جملة ﴿ ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ أكثر دقّة في السياق وأنسب للمخاطبين من قولنا – على سبيل المثال– كثرت حسناته أو أعماله الصالحة؛ فقد ذكر الزمخشري "أن" الموزنات من الأعمال هي التي لها قدر ووزن عند الله تعالى"[2] – وكما نعلم– نزل القرآن الكريم على محمد – صلّى الله عليه وسلّم– بلغة قومه لينذرهم، وليكون هذا الكلام بليغًا لا بدّ وأن يُطابق مقتضى الحال[3]، ومقتضى حال الناس هو اهتمامهم بالتجارة وزيادة الأموال لتحسين الأحوال والحديث عن الموازين وزيادة ما فيها أو نقصه مطابقًا للسان حالهم ومؤثِّرًا في مشاعرهم وجاذبًا لانتباههم؛ لذا كان قوله:﴿ **فَمَن**

(١) الكناية. مبحث من مباحث علم البيان وهي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المنزول، مثل قولهم طويل النجاد. مع إرادة طويل القامة. انظر ما جاء عند: طبانه (بدوي طبانه). في معجم البلاغة العربية. ط.٣. جدة. دار المنارة. الرياض. دار الرفاعي، سنة ١٩٨٨م. (الكناية) ص ٥٩٣.

(٢) الزمخشري. الكشاف. ج ٣. ص ٤٣.

(٣) مقتضى الحال أن يناسب الكلام الاعتبار والحال الذي قيل فيه. انظر ما جاء عند السكاكي (أبو يعقوب بن أبي بكر محمد بن علي). في مفتاح العلوم. ضبط نعيم زرزور. ط.٢. بيروت. دار الكتب العلمية، سنة ١٩٨٧م. ص ١٦٨)١٦٩ (بتصرُّف)، أيضاً عند عدلي (د. سميرة عدلي رزق). مقتضى الحال. مفهومه. وزواياه في ضوء أسلوب القرآن. مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية. العدد ١٩. شعبان عام ١٤٢٠هـ. ص ٨٦٢ (بتصرُّف).

ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ مؤثّرًا ومطابقًا للحال، والحقيقة إن هذا هو دائمًا شأن القرآن الكريم في أسلوبه لا يأتي في سياقه إلاّ اللفظ المعبّر عن المعنى المؤدّي للغرض الذي سيق من أجله، أفضل أداء وأبلغه، حتى يتكوّن من الألفاظ وتأليفها (روح التركيب) كما يقول الرافعي: "وهذه الروح التي أومأنا إليها، (روح التركيب)، لم تُعرف قط في كلام عربي غير القرآن، وبها انفرد نظمه وخرج مما يطيقه الناس، ولولاها لم يكن بحيث هو كأنما وضع جملة واحدة ليس بين أجزائها تفاوت أو تباين إذ تراه ينظر في التركيب إلى نظم الكلمة وتأليفها، ثم إلى تأليف هذا النظم، فمن هاهنا تعلَّق بعضه على بعض، وخرج في معنى تلك الروح صفة واحدة، هي صفة إعجازه في جملة التركيب كما عرفت... (١)

وإضافة إلى ما ذُكر من مراعاة مقتضى الحال في هذا التعبير فالمعلوم أن المعنى المجرَّد إذا وضع في صورة حسِّيّة كان أدعى للفهم وأقرب للإدراك، وكثرة الحسنات أو قلَّتها معانٍ عقليّة مجرَّدة قد لا تستوعبها بعض العقول فكان من البلاغة تحويل التعبير إلى الصورة الحسيّة المذكورة ليعم فهمها ويسهل إدراكها لدى كل من سمعها.

ونعود إلى نص الآية مرة أخرى لنرى ما اشتملت عليه من وجوه بلاغيّة أخرى يقول – عزّ وجل-: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾، فقوله:﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

(١) الرافعي (مصطفى صادق). إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. ط.٩. بيروت. دار الكتاب العربي. ص ٢٤٥.

بدأ بالفاء الرابطة لجواب الشرط، ثم جاء المسند إليه بصيغة اسم إشارة للبعيد – رغم قرب الحديث عنه في السياق–[1] ولعلّ المقصود هنا بُعد منزلة المؤمنين وعلوِّهم لما كتبه المولى لهم – عزّ وجل– من مكانة رفيعة ومنزلة عالية يحسدهم عليها غيرهم، ويؤيد ذلك أسلوب القصر الإضافي[2] الموجود في قوله ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الذي قصر السياق فيها الموصوف وهم (المؤمنون) على صفة الفلاح، وطريقته توسُّط ضمير الفصل بين المسند إليه والمسند.

أما قوله ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ فما قيل عن ثقل الموازين في الحسنات عند المؤمنين، يُقال عكسه هنا عند المفرِّطين الذين لاحظّ لهم في الأعمال الصالحة فقد هبطت موازينهم وهي كناية أيضًا عن سوء أعمالهم وعدم احتسابها لهم، فضلاً عن خلودهم في جهنّم دون غيرها والذي ظهر من خلال تقديم الجار والمجرور (في جهنّم) على (خالدون) المسند إليه، ولعلّ هذا المعنى يُذكّرنا بقوله تعالى:[3]﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ

(١) قد يعرّف المسند إليه باسم الإشارة لأغراض بلاغية، وقد يستعمل البعيد للقريب أيضاً لأغراض بلاغية. انظر في ذلك ما جاء عند أبي موسى (د. محمد أبو موسى).في خصائص التراكيب. دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني. ط. ٢. القاهرة. مكتبة وهبه، سنة ١٩٨٠م. ص ١٥٥ (بتصرُّف).

(٢) القصر: مبحث من مباحث علم المعاني وهو يعني تخصيص أمر بأمر بأحد الطرق المعلومة (إنّما، ما وإلاّ، ... الخ). انظر ما جاء عند السيوطي (جلال الدين). في الإتقان في علوم القرآن. ط. بدون. بيروت. دار الفكر. ج ٢. ص ٤٩ (بتصرُّف).

(٣) سورة النور. الآية ٣٩.

كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾.

ويلاحظ الإشارة للبعيد في قوله: ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ رغم قرب الحديث عنهم في السياق وذلك لبعدهم عن الرشد ومنازل الفائزين[1]. وفي تقديم المسند إليه ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ قصر الموصوف – وهم الكفّار– على صفة الخسران.

وإذا ما تأمّلنا جملة ﴿ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ أدركنا دقّة التعبير وجماله في هذا التركيب، فالخسران هنا لا يكون في الأعمال التي صدرت منهم وذهبت هباءً في الآخرة، بل في النفس ذاتها، والجزاء هنا من جنس العمل. فكما أن أنفسهم هي التي دفعتهم إلى فعل السوء بإتّباع الهوى؛ فكانت النتيجة هي خسران هذه النفس الأمّارة بالسوء ولا أقلّ من ذلك.

ثم يأتي الفصل هنا لكمال الاتصال[2] في قوله ﴿ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ وذلك لما في الجملة الأولى والثانية من ارتباط قوي في المعنى[3]. إذ الجملة الثانية

(١) أبو موسى (محمد أبو موسى). في خصائص التراكيب. ص ١٥٥ (بتصرُّف).

(٢) كمال الاتصال: من موجبات الفصل أن تكون الجملة الثانية بيانًا وتوضيحًا لما أبهم في الجملة الأولى. انظر ما جاء في ذلك عند فيود. (د. بسيوني فيود).في علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني. ط.١. الإحساء. دار المعالم الثقافية للنشر والثقافة، سنة ١٩٩٨م. ص ١٥٠ (بتصرُّف).

(٣) يقدّم المسند في الكلام لأغراض بلاغية حسب السياق، منها التخصيص. انظر ما جاء عند ابن الأثير (أبو الفتح ضياء الدين نصر الله محمد بن محمد). في المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ط. بدون. صيدا. المكتبة العصرية، سنة ١٩٩٠م. ج ٢. ص ٣٥ (بتصرُّف).

(في جهنّم خالدون) إيضاح لما أبهم في الجملة الأولى (أولئك الذين خسروا أنفسهم) لأنّ الشيء إذا أبهم تطلّعت النفس إلى معرفته فإذا جاء بيانه صادف نفسًا مُتشوّقة إليه فتمكّن فيها فضل تمكّن.

وفي قوله ﴿ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ تقديم للمسند للتخصيص بالمسند إليه وهو الخلود، وذكر الزمخشري أن "﴿ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ بدل من ﴿ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ ولا محل للبدل والمبدل منه لأن الصّلة لا محل لها، أو خبر بعد خبر لأولئك أو مبتدأ محذوف"(١)، هذا وعلَّق أبو حيّان الأندلسي على ذلك بقوله "وهذا بدل غريب وحقيقته أن يكون البدل الفعل الذي يتعلَّق به في جهنم أي استقرّوا في جهنّم وكأنه من بدل الشيء من الشيء وهما لمسمّى واحد على سبيل المجاز، لأن من خسر نفسه استقرّ في جهنّم"(٢)بينما أجاز أبو البقاء أن يكون الذين نعتًا لأولئك وخبر أولئك في جهنّم والظاهر أن يكون خبرًا لأولئك لانعتًا".(٣)

أما قوله: ﴿ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾؛ فبدأ كما نلاحظ بالفعل ﴿ تَلۡفَحُ ﴾ أي تسفع وذكر الزجاج أن "اللفح والنّفخ واحد إلاّ أن اللفح أشد تأثيرًا"(٤) وهو يعني الإحراق، ونلاحظ تقديم المفعول به هنا على الفاعل للاختصاص، أي خُصَّت الوجوه هنا بالإحراق "لأنها أشرف الأعضاء"(٥)، وفي هذا

(١) الزمخشري.في الكشاف. ج ٣. ص ٤٣.

(٢) أبو حيان الأندلسي.في البحر المحيط. ج ٦. ص ٤٢١)٤٢٢.

(٣) * المصدر السابق. ج ٦. ص ٤٢٢.

(٤) الزمخشري.في الكشاف. ج ٣. ص ٤٣.

(٥) الشوكاني (محمد بن علي). في فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدِّراية من علم التفسير. ط.٢. القاهرة. مكتبة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، سنة ١٩٦٤م. ج ٣. ص ٤٩٩.

الأسلوب مجاز مرسل علاقته الجزئيّة[١] لاسيّما وأن احتراق الوجه يؤدي إلى بشاعة المنظر – والعياذ بالله– مما يجعل من حوله لا يقبلون النَّظر إليه.

ومن الجانب النّحوي جملة ﴿ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمۡ ﴾ "في محل نصب حال من ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ "[٢] وقيل هي مستأنفة أو خبر آخر لأولئك السابقة[٣]ثم جاء قوله:﴿ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ جملة في محل نصب حال معطوفة على جملة الحال[٤] كما أنها تعتبر تذييل[٥] على ما قبلها وهو قوله ﴿ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾.

(١) المجاز المرسل: استعمال اللفظ في غير ما وضع له مع علاقة ملابسة ومناسبة غير المشابهة. وله علاقات كثيرة منها الجزئية وهي أن يعبّر بالجزء مع إرادة الكل على أن يكون ذلك الجزء له مزيد اختصاص في الكل. انظر مما جاء عند د. شرشر (د. محمد حسن شرشر). في لباب البيان. ط.٢. القاهرة. دار الكتاب الجامعي. بدون تاريخ. ص ٢٠٥ (بتصرُّف).

(٢) صافي (محمود صافي). في الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه. ج ١٨. ص ٢١٢.

(٣) الشوكاني. في فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. ج ٣. ص ٤٩٩ (بتصرُّف).

(٤) صافي (محمود صافي). في الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه. ج ١٨. ص ٢١٢.

(٥) التذييل) من طرق الإطناب وهو اتّباع الجملة بجملة أخرى تُفيد التقوية والتوكيد، وعرفه العسكري بقوله: إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويتوكد عند من فهمه. انظر: في كتاب الصناعتين.لأبي هلال العسكري. في الشعر. النثر. تحقيق محمد البيجاوي. محمد أبو الفضل إبراهيم. ط.٢. القاهرة. مكتبة عيسى الحلبي وشركاه. دون تاريخ. ص ٣٨٧.

وجاء تقديم الجار والمجرور في ﴿ فِيهَا ﴾ على الخبر للتخصيص، مع جمال الفاصلة القرآنية التّابعة للمعنى في السّياق [١].

ثم يأتي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾.

فمع بداية هذه الآية يعود الحوار بعد السرد، ويبدأ المشهد في التحرّك مرة أخرى فقوله ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى ﴾ هي في محل نصب مقول القول المقدّر[٢] أي: ثمُ يُقال لهم، وهو توبيخ وتقريع [٣] والهمزة مع النفي استفهام تقريري[٤] لإثبات ما جاء بعده بمعنى كانت آياتي تُتلى عليكم وكنتم بها تكذِّبون، ولذا فإنّ جوابه بالإيجاز (بلى كانت تُتلى)، وجملة ﴿ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ في محل نصب خبر ﴿ تَكُنْ ﴾

(١) الفاصلة في القرآن هي تناسب خواتيم الآيات على أن تكون تابعة للمعنى وليس المعنى خاضعاً لها، انظر ما جاء عند: بنت الشاطيء (د. عائشة عبد الرحمن). في الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دراسة قرآنية لغوية وبيانية. ط.٢. القاهرة. دار المعارف. دون تاريخ. ص ٢٥٩)٢٦٠ (بتصرُّف).

(٢) صافي (محمود صافي). في الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه. ج ١٨. ص ٢١٢ (بتصرُّف).

(٣) الشوكاني. في فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. ج ٣. ص ٤٩٩ (بتصرُّف).

(٤) الاستفهام التقريري: استفهام داخل على نفي، وفيه يكون المقصود فيه بما يعلمه من مضمون الجملة، وكثير من البلاغيين يعدّه من باب الإنكار الذي يبطل النفي فيعود بالأسلوب إلى الإثبات. انظر ما جاء عند أبي موسى (محمد أبو موسى). في دلالات التراكيب (دراسة بلاغية). ط.١. القاهرة. مكتبة وهبه، سنة ١٩٧٩م. ص ٢٤٥.

وقُدِّم الجار والمجرور في قوله ﴿ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ على العامل ﴿ تُكَذِّبُونَ ﴾ للتّوكيد والتّقوية لتكذيبهم بأشياء أخرى وليس الآيات فقط. أما الجملة ﴿ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ فهي في محل نصب معطوفة بالفاء الدّالة على السّرعة فعُطفت على جملة مقول القول السابقة. (١)

ولعلّ من المبالغة في التكذيب أن تأتي الجملة ﴿ تُكَذِّبُونَ ﴾ بصيغة المضارع وما ذاك إلاّ لتأكيد تجديد هذا العمل منهم أي مرّات تلو مرّات ولاستحضار الصّور السّابقة بين أعينهم.

وهنا تأتي الإجابة في خضوع وانكسار وتذلُّل – على لسانهم- ﴿ **قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ** ﴾ وهو استئناف إجابة عن سؤال مقدّر (٢)–أي ماذا قالوا–؟ فالإجابة: ﴿ **قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا** . . . ﴾. ولنتأمل هنا لفظة (ربّ) وما اتصلت به من ضمير المتكلِّمين (نا) فأصبحت ﴿ رَبَّنَا ﴾ والتي بيّنت حاجتهم الماسّة إلى ربّهم في تلك اللحظة بعد أن نسوه من قبل عند تكذيبهم لآياته، كذا لنقف قليلاً عند جملة ﴿ غَلَبَتْ ﴾ وما أضفته على السِّياق

(١) صافي (محمود صافي).في الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه. ج ١٨. ص ٢١٢ (بتصرُّف).

(٢) الشوكاني. في المرجع السابق. ج ٣. ص ٤٩٩ (بتصرُّف).

من دقّة في مكانها منه؛ فلو عدنا إلى أصلها اللغوي كما ذكر الزمخشري:".... غلبتُهُ في الشيء أخذته منه"...[١] ويُقال أفنغلبه على نفسه أي أفنكرهه؟[٢]

وهذا المعنى يبيِّن دقّة اللفظة وجمالها في السياق؛ فالأخذ أو الإكراه لا يكون إلاّ من عاقل لعاقل، وهنا تبلغ شدَّة الشقوة – وهي اللذات والشهوات– وسميت بذلك لأنها تؤدي إلى الشقاء.[٣]

أقول هنا تبلغ شدّة الشهوات إلى الحد الذي تغلب فيه إرادتهم وسيطرتهم على أنفسهم وبهذا يكون التعبير فيه استعارة مكنيّة[٤].

أما قوله ﴿ شِقْوَتُنَا ﴾ فقرأها حمزة والكسائي وخلف ووافقهم الحسين والأعمش (شَقاوتنا) بألف مع الشين وفتحها، وقرأها أهل المدينة وعاصم (شِقوَتُنا) وقال الفراء "لولا عبد الله ما قرأتها إلاّ (شِقوتُنا)" [٥].

(١) الزمخشري (جار الله أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري). في أساس البلاغة. تحقيق عبد الرحيم محمود. ط. بدون. بيروت. دار المعرفة، سنة ١٩٨٢م. (غلب) (بتصرُّف).

(٢) * المصدر السابق. (غلب) (بتصرُّف).

(٣) الشوكاني. في المرجع السابق. ج ٣. ص ٤٩٩ (بتصرُّف)، أيضاً ذكر الألوسي أنها من إطلاق المسبب وإرادة السبب. انظر ما جاء عند: الألوسي. في روح المعاني. ج ١٨. ص ٦٧ (بتصرُّف).

(٤) الاستعارة المكنية. هي تشبيه شيء بآخر مع حذف المشبّه به وإبقاء شيء من لوازمه ليدلّ عليه. انظر ما جاء عند (الخطيب القزويني). في الإيضاح في علوم البلاغة. شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي. ط.٣. بيروت. دار إحياء الكتب العربية. ١٩٧١م.ج٢.ص٩٨. (بتصرف)

(٥) الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد). في معاني القرآن. ط.١. بيروت. عالم الكتب، سنة ١٩٨٠م. ص ٢٤٣.

ثم تأمّل قوله ﴿ وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴾ فهي جملة موصولة بما قبلها بحرف العطف "الواو" لكمال الاتّصال فهي تأكيد للمعنى السّابق وسرّ الوصل لبيان أنّ الأمر الثّاني وهو الضّلال أقوى من غلبة الشّقاء عليهم، فهي معطوفة على جملة ﴿ غَلَبَتْ ﴾ في محل نصب.

وجاء التعبير بالفعل الماضي، للتعبير عن ثبوت ما أخبروا به عن أنفسهم وأنّه أمر متأصّل فيهم، ثم يأتي قوله ﴿ قَوْمًا ﴾ نكرة وهو المسند في الجملة؛ ليدلّ على التقليل والتحقير من شأنهم[1] ولا أدلّ على ذلك من مجيء الصفة ﴿ ضَآلِّينَ ﴾ بعدها.

ويتكرّر اللفظ والدعاء المفعم بالاستعطاف والتذلُّل والرغبة في العودة والنّجاة بالقول: [2]

﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ﴾ ، وتكرار هذا اللفظ دليل على شدّة الحاجة وشدّة الشعور بالضعف والافتقار إلى الربِّ – عزّ وجل– وهو من طرق الإطناب في الأسلوب [3] ؛ للتّأكيد على شدّة حاجتهم إلى ربّهم.

---

(١) قد يأتي المسند في الجملة نكرة لأغراض بلاغية منها: التقليل أو التحقير. انظر ما جاء عند عباس (د. فضل حسن). في البلاغة فنونها وأفنانها. علم المعاني. ص ٢٥٥ (بتصرُّف).

(٢) سورة "المؤمنون". الآية ١٠٧.

(٣) الإطناب. مبحث من مباحث علم المعاني، والتكرار طريقة من طرقه. انظر ما جاء عند: التفتازاني (سعد الدين). في مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح. للخطيب القزويني، ضمن شروح التلخيص. ط. بدون. بيروت. دار السرور. بدون تاريخ. ص ٢٢٠ (بتصرُّف).

أما قوله ﴿ أَخْرِجْنَا مِنْهَا ﴾ فهو دعاء جاء بصيغة الأمر لإظهار التّذلّل والخضوع لله تعالى.

وقوله: ﴿ فَإِنْ عُدْنَا ﴾ شرط شرطوه على أنفسهم لظنِّهم أنهم بما أنهم في تلك اللحظة على الإيمان والطَّاعة فقد يستمر الأمر كذلك إن عادوا إلى الدنيا. (١)

وفي قوله ﴿ فَإِنْ عُدْنَا ﴾ أي عدنا إلى ما كنّا عليه من الضلال والتكذيب في الدنيا وعدم مغالبة الهوى والمعاصي؛ وهو إيجاز حذف بليغ لفهمه من سياق الكلام ولحصول الملل والرّكاكة لو ذُكر المحذوف(٢)، وقد فُهم المحذوف من المذكور في السياق قبلها.

أما قوله ﴿ فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ فالفاء رابطة لجواب الشرط والجملة الاسمية وما بعدها تأكيد للمعنى الذي جاء به السياق، فضلاً عن وجود (إنّ) المؤكّدة في بداية الجملة في قوله (إنّا) وهو مؤكِّد آخر والتأكيد هنا إنَّما جاء لرفع الشّك في أمرهم – لدى المخاطب– والجملة الإسميّة تأكيد ثالث لدفع الشّكّ في كلامهم.

والظلم يعني عند أهل اللغة وكثير من العلماء "وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة، وإمّا بعدول عن وقته أو مكانه، ومن هذا يُقال ظلمت السِّقاء إذا تناولته في غير وقته".(٣)

(١) أبو السعود (محمد بن محمد بن مكرم العمادي). في إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود). ط. بدون. بيروت. دار إحياء التراث العربي. بدون تاريخ. ج ٦. ص ١٥٢ (بتصرُّف).

(٢) سبقت الإشارة إلى هذا الفن في هامش رقم (٢). ص٢٨ من البحث.

(٣) الأصفهاني (الراغب الأصفهاني). في المصدر السابق. (ظلم).

ويُقال الظلم في مجاوزة الحق وفي كل مجاوزة سواءٌ أكان ذلك فيما يكثر أو فيما يقل ولهذا يستعمل في الذنب الكبير وفي الذَّنب الصغير ولذا يُقال لآدم في تعديهِ ظالم [١] ، لمُجرّد التّعدّي ومُجاوزة الحدّ.

والظلم حسب تقسيم الحكماء له ثلاثة: ظلم بين الإنسان وربِّه وأعظمه الكفر – والعياذ بالله– والشرك والنِّفاق، لذا قال تعالى: [٢] ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾.

والظّلم الثّاني ظلم بين الإنسان وبين غيره من الناس، وفيه قال تعالى: [٣] ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾.

والظّلم الثّالث ظلم بين الشخص ونفسه، وفيه قال تعالى:[٤] ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾.

ونميل هنا إلى ما رآه الراغب في قوله "وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس فإن الإنسان في أول ما يهم بالظلم فقد ظلم نفسه".[٥]

(١) * المصدر السابق. (ظلم) (بتصرُّف).

(٢) سورة لقمان. الآية ١٣.

(٣) سورة الشورى. الآية ٤٢.

(٤) سورة فاطر. الآية ٣٢.

(٥) الأصفهاني (الراغب الأصفهاني). في المصدر السابق. (ظلم).

وعلى هذا الرأي، فإن التأكيد في قوله: ﴿ فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾ إنّما هو تأكيد على ظلمهم لأنفسهم باتّباعهم الهوى وعدم الإيمان، وقد جاء في آية أخرى قوله تعالى:[1] ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾.

ولا أدل على ظلمهم لأنفسهم من طلبهم العودة إلى الدنيا لأنَّهم لو كانوا يعتقدون أنهم مجبورون على ما صدر منهم في دنياهم لما طلبوا العودة إليها ولما وعدوا الإيمان والطاعة.[2]

ثم لننظر إلى هذا الموقف العصيب،موقف الضعف والتذلّل والخوف من الكافرين أمام القوة والقدرة الإلهيّة منه – عزّ وجل– في قوله:﴿ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾.

ولنقف عند جملة ﴿ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا ﴾ وقفة تأمُّل وتحليل، فمادة "خسأ" وردت مع زجر الكلب ومنعِهِ عن النباح فنقول له: "اخسأ"[3] وهي مفعمة بالاستهانة والزَّجر لهؤلاء الكافرين وكأن مكانتهم قد وصلت إلى هذا الحد من السخرية فلا يستحقون جملة بديلة مثل (اسكتوا).

ولا أدل على ذلك من مجيء النهي بعدها في قوله: ﴿ وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ ويُلاحظ هنا عدم إضافة ضمير المتكلّم إلى الفعل ﴿ تُكَلِّمُونِ ﴾ رغم صدوره منه

(١) سورة النحل. الآية ١١٨.

(٢) أبو السعود.في تفسير أبي السعود. ج ٦. ص ١٥٢ (بتصرُّف).

(٣) الأصفهاني (الراغب الأصفهاني). في المصدر السابق. (خسأ).

عزّ وجل وذلك تشريفًا له – سبحانه– وتعظيمًا عن مكانتهم فضلاً عن الإيجاز المفهوم من السياق الذي يدل على هيبة الموقف وعدم الرغبة في سماع عبارات الاعتذار، ثم يأتي الفصل واجبًا هنا لشبه كمال الاتصال لاختلاف الجملتين خبرًا وإنشاءً في قوله تعالى:[1] ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾.

ويأتي التعليل واضحًا لهذا الموقف ردًا على سؤال محذوف يفرضه المعنى المفهوم من الجملة السابقة ﴿ وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾[2] ، والحذف هنا إيجاز جميل[3]وهذا المحذوف جملة سؤال كاملة تقديرها لماذا نهاهم عن كلامهم له؟! فتأتي الإجابة مؤكِّدة "بإنَّ"[4] لأن المخاطبين في تجاهل وشك في لحظة الخزي التي يعيشونها بين يدي المولى – عزّ وجل–، أما الضمير؛ فهو ضمير الشأن وهي تعني أن في التعبير إيجاز حذف أي " لأن الشأن أنّه (كان) في الدنيا التي تريدون الرجعة إليها ﴿ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى ﴾ أي المؤمنون، وقيل هم الصحابة، وقيل: أهل الصُّفَّة – رضي الله عنهم– أجمعين".[5]

(١) سورة "المؤمنون". الآيتان ١٠٩)١١٠.

(٢) سورة "المؤمنون". الآية ١٠٨.

(٣) سبقت الإشارة إلى إيجاز الحذف في هامش رقم (٢).ص٢٨ من البحث.

(٤) من مؤكدات الخبر (إن، أن، قد، السين، سوف، لام الابتداء، وضمير الفصل، ... الخ). انظر في ذلك ما جاء عند: عباس (د. فضل حسن عباس).في البلاغة فنونها وأفنانها. علم المعاني. ص ٨٠.

(٥) الألوسي.في روح المعاني. ج ١٨. ص ٦٨.

ويلاحظ هنا تنكير لفظ فريق وعدم تعريفها بأل للدلالة على التّعظيم[1]؛ فهذا الفريق حتى وإن كان مجهولاً فيكفي أنهم من عباد الله أي الذين آمنوا به وصدَّقوه، ولا أدل على ذلك المعنى، من إضافة لفظة (عباد) إلى ياء المتكلِّم العائدة إلى ربّ العزّة – سبحانه وتعالى–، وهل من تشريف لهم في ذلك الموقف والحوار أعظم من هذا؟!

يقول صاحب تفسير التحرير والتنوير: "وجملة ﴿ **إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى** ﴾ إلى آخرها استئناف قُصد منه إغاظتهم بمقابلة حالهم يوم العذاب بحال الذين أنعم الله عليهم، وتحسيرهم على ما كانوا يعاملون به المسلمين".[2]

ونعود إلى ما جاء حكاية عن حال المؤمنين قوله تعالى: [3] ﴿ **إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ** ﴾ والقول هنا كما يُلاحظ يبدأ بـ﴿ رَبَّنَآ ﴾ وهو توجّه إلى المربِّي والمسؤول الأول – سبحانه– مضافًا إلى ضمير المتكلِّمين (نا)، هو دليل على تمام التذلّل والخضوع من الدّاعين المتضرِّعين لمولاهم – عزّ وجل– وهو أدعى للاستجابة والقبول منه – سبحانه– كما يلاحظ حذف ياء النداء قبل كلمة ﴿ رَبَّنَآ ﴾ للقرب الروحي الذي يشعر به هؤلاء المؤمنون عند دعائهم بلفظ ﴿ رَبَّنَآ ﴾ – بدون ياء–.

(١) أبو حيان الأندلسي.في تفسير البحر المحيط. ج ٦. ص ٤٢٣ (بتصرُّف).
(٢) ابن عاشور (محمد الطاهر).في تفسير التحرير والتنوير. ج ١٨. ص ١٢٩.
(٣) سورة "المؤمنون". الآية ٢٠٩.

ثم تأمّل ما جاء في السّياق بعد ذلك، ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا ﴾ فبعد التوجّه والتذلُّل والخضوع، تكون الأسباب المؤهِلة للاستجابة والجزاء.. فهم يؤكِّدون إيمانهم بجملة واحدة ﴿ ءَامَنَّا ﴾ بصيغة الفعل الماضي مضافًا إلى الضمير (نا) الدال على تحقُّق الإيمان منهم قبل ذلك، وهو سبب رئيس من أسباب الالتفات والاستجابة إلى ما يطلبون، ثم يأتي الأدب في الدعاء بطلب المغفرة أوّلاً لأنّها ستر للعيوب، وصون للعبد من أن يمسّه العذاب[١]، أما الرحمة فهي "من الله إنعام وإفضال"[٢] ، فالدعاء هنا جاء موافِقًا لما جاء في آية أخرى وصف فيها المولى نفسه بقوله – عزّ وجل–[٣] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

فالمؤمن رغم إيمانه إلاّ أنه يشعر بتقصيره وبذنوبه فيطلب من مولاه أوّلاً أن يسترها حتى يكون الإنعام منه والتفضّل على عباده.

ثم تأمّل هذا الثّناء المستحب لاستجابة الدعاء وتقبّله وهو قوله تعالى على لسان المؤمنين المتضرِّعين: ﴿ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ فالجملة – كما نلاحظ– اسميّة لتأكيد المعنى الذي تحمله في سياقها وليس التأكيد هنا إلاّ لزيادة المعنى قوّة وجمالاً ولتُضفي على سياق الدعاء ثناءً وجلالاً.

فضلاً عن تقديم المسند إليه ﴿ أَنتَ ﴾ على المسند ﴿ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ والمعلوم أن هذا الضمير ﴿ أَنتَ ﴾ يعود على المولى – عزّ وجل– وهذا التقديم للتخصيص. [٤]

(١) الأصفهاني (الراغب الأصفهاني).في المفردات في غريب القرآن (غفر).
(٢) * المصدر السابق (رحم).
(٣) سورة المائدة. آية ٣٤، آية ٣٩.
(٤) الأصل هو تقديم المبتدأ على الخبر، وهنا جاء التقديم لغرض زائد على الأصل وهو التخصيص. انظر ما جاء عند: لاشين (د. عبد الفتاح لاشين).في صفاء الكلمة. ط. بدون. الرياض. دار المريخ. سنة ١٩٨٣م. ص ١٩٤ وما بعدها (بتصرُّف).

ذلك هو شأن القرآن الكريم في تقديمه، فالتقديم لا يكون فيه إلاّ لغرض يتعلّق بالمعنى وليس لغرض يتعلّق بالبنية الشكليّة أو بموسيقى الكلام(١).

أما قوله ﴿ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ فهو إرصاد(٢) وهو ما يُعرف بردّ العجز على الصّدر جاء مع نهاية الكلام في الآية ليزيد تناسب ألفاظها وسلاستها، فضلاً عن دقّة المعنى في السياق ومناسبته للفاصلة قبله وبعده.

وفي قوله: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ ﴾ (المؤمنون:١٠٩) فيه استحضار للصّورة الرّائعة اللّطيفة عن المؤمنين بين يدي السّامع أو القارئ لتدخل إلى قلبه بإيناس وتشويق.

ثمّ لنعُد إلى نصِّ الآيات مرَّة أخرى، فنجد قوله تعالى – بعد ذلك مبيِّنًا موقف هؤلاء الكافرين من المؤمنين عند دعائهم–: ﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾.

الفاء عاطفة على ما قبلها(٣) وقوله ﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ ﴾ أصلها أخذتموهم وزيادة المبني تعني زيادة المعنى هنا، فبما أن الأخذ يعني حوز الشيء وتحصيله إما بالتناول وإما بالقهر(٤)، وتستعمل في القرآن أيضًا بمعنى الجعل(٥) ومن معاني الجعل

(١) عمايره (د. خليل عمايره).في (في نحو اللغة وتراكيبها). ط.١. جدة. عالم المعرفة، سنة ١٩٨٤م. ص ٩٠ (بتصرُّف).

(٢) الإرصاد. محسّن بديعي. وسمي (رد الإعجاز على الصدور) وهو أن يكون قبل عجز الكلام لفظة تدل على آخره. انظر ما جاء عند لاشين (د. عبد الفتاح لاشين).في البديع في ضوء أساليب القرآن. ط.٣. القاهرة. مكتبة الأنجلو المصرية، سنة ١٩٨٦م. ص ١٦٩ (بتصرُّف).

(٣) صافي (محمود صافي).في الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه. ج ١٨. ص ٢١٥.

(٤) الأصفهاني (الراغب الأصفهاني).في المفردات في غريب القرآن (أخذ) (بتصرُّف).

(٥) * المصدر السابق (أخذ) (بتصرُّف).

الحكم بالشيء على الشيء حقًا كان أو باطلاً[١]، نقول بما أن (أخذَ) تحتمل كل هذه المعاني، فنقول: إن جملة ﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ ﴾ دلّت على تصرّف هؤلاء مع المستضعفين من المؤمنين، دلالة دقيقة لأنهم جعلوهم سخرية واستهزاءً ولعبًا وظل هذا مستمرًا فيهم حتى أنساهم هذا الاستهزاء وتلك السخرية أنساهم ذكر الله – عزّ وجل– وخوفهم من عذابه وعقابه في اليوم الموعود[٢].

أما قوله ﴿ سِخْرِيًّا ﴾ فاختلفوا في قراءتها فقرأها المدنيَّان وحمزة والكسائي وخلف بضم السين وقرأ الباقون بكسرها[٣](أي سُخريًّا)، بمعنى الاستخدام بلا أجر أو (سِخرِيًّا) بمعنى هزأ، وقيل إن معناهما واحد، وفي نصب (سخريًا) جاء ما يلي: "سلِّط الاتخاذ المفهوم من (اتّخذتموهم) على المصدر للمبالغة كما يوصف بالمصدر، والمعنى اتّخذتموهم مسخورًا بهم، فنصب ﴿ سِخْرِيًّا ﴾ على أنه مفعول ثانٍ لـ (اتّخذتموهم)" [٤] وأسند النسيان إلى المؤمنين في قوله ﴿ حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى ﴾ لأنهم سبب في ذلك فهي مجاز عقلي علاقته السببيّة[٥].

(١) * المصدر السابق (جعل) (بتصرُّف).

(٢) الألوسي.في روح المعاني. ج ١٨. ص ٦٩ (بتصرُّف).

(٣) هذه القراءة بالنسبة إلى سورتي "المؤمنون" و (ص) فقط. انظر ما جاء عند: ابن الجذري (الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي). في النشر في القراءات العشر. ط. بدون. إشراف ومراجعة محمد الصباغ. القاهرة. دار الفكر للطباعة والنشر. بدون تاريخ. ج ٢. ص ٣٢٩ (بتصرُّف).

(٤) ابن عاشور. في تفسير التحرير والتنوير. ج ١٨. ص ١٢٩.

(٥) المجاز العقلي. إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأول، وله علاقات مختلفة. انظر ما جاء عند: فيود (د. بسيوني فيود). في علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني. ج ١. ص ٥٨)٥٩ (بتصرُّف).

أما ﴿ حَتَّىٰٓ ﴾ فهي ابتدائيّة وأتت هنا بمعنى آخر (استعارة تبعيّة في الحرف) ومعناها هنا هو معنى فاء السببيّة حيث شُبِّه التسبُّب القوي بالغاية فاستعملت فيه حتى(١).

يقول صاحب التحرير والتنوير: "والمعنى أنكم لهوتم عن التأمل فيما جاء به القرآن من الذكر، لأنهم سخروا منهم لأجل أنهم مسلمون فقد سخروا من الدين الذي كان إتِّباعهم إيّاه سبب السخرية بهم فكيف يُرجى من هؤلاء التذكُّر بذلك الذكر وهو من دواعي السخرية بأهله".(٢)

بل انظر إلى هذا التذييل(٣)الذي خُتِمت به الآية الكريمة في قوله: ﴿ وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ الذي زاد المعنى السابق توكيدًا وتقوية؛ إذ إن الضحك المستمر يكون سببًا في إماتة القلب وعدم الإحساس بالمسؤوليّة أو سوء العاقبة ويدل على ذلك صيغة الفعل المضارع في جملة ﴿ تَضْحَكُونَ ﴾.

ولا يفوتنا تقديم الجار والمجرور ﴿ مِّنْهُمْ ﴾ (معمول الفعل) على عامله ﴿ تَضْحَكُونَ ﴾، وما أفاده هذا التقديم من التّقوية والتّوكيد (٤) لضحك هؤلاء من المؤمنين والاستهزاء بهم، يُضاف إلى كل ذلك تنويع الضمائر والأزمنة في الآية

(١) ابن عاشور. في تفسير التحرير والتنوير. ج ١٨. ص ١٢٩ (بتصرُّف).

(٢) * المصدر السابق. ج ١٨. ص ١٢٩)١٣٠.

(٣) عرّف بهذا البند في هامش رقم (٢).ص٣٦ من البحث.

(٤) قد يتقدّم المعمول على عامله، ومنه الظرف أو الجار والمجرور لغرض الاختصاص. انظر ما جاء عند: أبي موسى (د. محمد أبو موسى). في دلالات التراكيب. ص ١٨٩ (بتصرُّف).

الكريمة الذي أعطى الأسلوب جمالاً وحيويّة وحركة تتناسب مع طبيعة الحوار الذي نصّت عليه في سياقها.

ثم يأتي قوله تعالى: [1]﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ فالجملة ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ خبريّة مستأنفة لتقرير ما سبق وهو استئناف بيانيّ، وقد فُصلت لكمال الاتصال، فهي إجابة عن سؤال مقدّر (فماذا كان الشّأن فيهم؟) والسّرّ البلاغيّ في فصلها هو شدّة ارتباطها المعنويّ بما قبلها، ويلاحظ تصدير الجملة بإن المؤكّدة للخبر بعدها وما ذاك إلاّ لأن المخاطب شاك في هذا الخبر[2].

ثم انظر إلى مجيء الفعل (جزى) بصيغة الماضي مع الزمن (اليوم) وكان الأولى استعمال صيغة المضارع (أجزيهم) مثلاً لتتناسب مع الظرف (اليوم) ولكن استعمالها بالماضي[3]دليل على حتميّة وقوع هذا الجزاء الذي قضى به المولى – عزّ وجل– لهم منذ الأزل، منذ أن قدّر لهم الإيمان فآمنوا وما قبل ذلك مما هو مقدّر في علم الله تعالى.

والمقصود بـ(اليوم) هنا هو يوم القيامة يوم الجزاء والحساب، ولا أدل على ذلك من قوله ﴿ بِمَا صَبَرُوٓاْ ﴾ أي بسبب صبرهم[4].

---

(١) سورة "المؤمنون". الآية ١١١.

(٢) الضرب الطلبي (من إخراج الكلام على مقتضى الظاهر). انظر ما جاء عند: أمين (د. بكري شيخ أمين).في البلاغة في ثوبها الجديد. علم المعاني. ج ١. ص ٧٢ (بتصرُّف).

(٣) قد يوضع الماضي موضع المضارع ليتعين وقوع الشيء، لا محالة انظر ما ذكره الجعلي (د. إبراهيم).في (من بلاغة القرآن). ص ٣٩ (بتصرُّف).

(٤) الشوكاني. في فتح القدير بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. ج ٣. ص ٥٠٠ (بتصرُّف).

ويُلاحظ هنا أيضًا مجيء صيغة المصدر المُؤوّل من (ما) المصدريّة والماضي (صبر) بدلاً من المصدر الصّريح (بصبرهم) لأن الصبر كان في الدنيا ولا يكون شيء منه في الآخرة، إلى جانب أنّ التّعبير عن هذا المعنى بالماضي أكثر صراحة وتأكيدًا من المصدر الصّريح فضلاً عن أن الصبر أبلغ من السكوت في هذا المقام، فالسكوت قد يكون لخوف أو مرض أو أي سبب آخر أما الصبر فلا يكون إلاّ عن احتساب للأجر ورغبة في رضا الله – عزّ وجل– لا محالة، لذا فاستعمال جملة (صبروا) أبلغ من سكتوا.

أما قوله: ﴿ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ فهي جملة مفصولة عن ما قبلها لكمال الاتصال، إذ إنّ الجملة الثّانية بيان وإيضاح لما كان مبهمًا وهو كيفية الجزاء فيظهر المعنى في صورتين مختلفتين الإبهام ثمّ الإيضاح فيتمكّن في النّفس فضْل تمكّن نظرًا لتشوّق النّفس إليه قبل ذلك، كما أنها اشتملت على إيجاز حذف في الجملة والتقدير: "بِمَ كان جزاؤهم على الصبر؟ فتأتي الإجابة أنهم هم الفائزون. وقُرِئ مكسورة الهمزة (إنّهم هم) "لتعليل الجزاء وبيان لكونه في غاية ما يكون من الحسن"(١).

ونلاحظ هنا دخول أنَّ المؤكِّدة للخبر على الجملة الاسميّة بعدها ليزيد المعنى تأكيدًا على تأكيد، لاسيّما وأن ضمير الفصل (هم) جاء بين اسم "أن" وخبرها لزيادة هذا التأكيد، فضلاً عن أن تعريف المسند (الفائزون) بأل الجنسيّة مع تعريف المسند إليه (هم) أفاد تخصيص الفوز بهم دون سواهم.

يقول صاحب التحرير والتنوير: "وقوله ﴿ بِمَا صَبَرُوٓاْ ﴾ إدماج للتنويه بالصَّبر، والتنبيه على أن سخريتهم بهم كانت سببًا في صبرهم الذي أكسبهم الجزاء

(١) أبو السعود. في تفسير أبي السعود. ج ٦. ص ١٥٢.

وفي ذلك زيادة تلهيف للمخاطبين بأن كانوا هم السبب في ضرّ أنفسهم ونفع من كانوا يعدّونهم أعداءهم"(١).

ويعود النقاش والتحاور – مرة أخرى– ليُثري السياق بالحيويّة والحركة وليزيد السامع حضورًا وتيقُّظًا لاستيعاب ما فيه فيقول تعالى:(٢) ﴿ **قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٣ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ** ﴾.

جاء في (قال) قراءتان أحدهما (قَالَ) كما هي في الآية الكريمة وهي قراءة الجمهور(٣) وبها يتعيّن أن يكون هذا القول عند النفخ في الصور في المرّة الثّانية وحياة الأموات من الأرض، فالأظهر أن يكون جوابًا لـ (إذا) في قول الآية السابقة(٤) ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ** ﴾ والتقدير قال الله – عزّ وجل– لهم، أو الملائكة، – إذا نُفخ في الصور كم لبثتم في الأرض عدد سنين–(٥).

أما قوله ﴿ كَمۡ ﴾ فهي اسم للاستفهام جاء بمعنى التوبيخ، في محل نصب على الظرفيّة الزمانيّة متعلَّق بـ ﴿ لَبِثۡتُمۡ ﴾(٦)، ومع هذا التوبيخ فهو كناية عن قصر مدة الحياة مهما كثرت السنين وأنهم عادوا كما أخبرهم الأنبياء.

(١) ابن عاشور. في تفسير التحرير والتنوير. ج ١٩. ص ١٣٠.
(٢) سورة "المؤمنون" الآية ١١٢)١١٣.
(٣) ابن الجزري (الحافظ أبو الخبر محمد بن محمد الدمشقي). في النشر في القراءات العشر. ج ٢ ص ٣٣٠ (بتصرُّف). ووردت كذلك في مصاحف أهل الكوفة كما ذكر أبو حيان في تفسير البحر المحيط ج ٦. ص ٤٢٤.
(٤) سورة "المؤمنون". الآية ١٠٠)١٠١.
(٥) ابن عاشور. في تفسير التحرير والتنوير. ج ١٨. ص ٢٣٠ (بتصرُّف).
(٦) صافي (محمود صافي). في الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه. ج ١٨. ص ٢١٧ (بتصرُّف).

ويلاحظ هنا دقّة مجيء جملة ﴿ لَبِثْتُمْ ﴾ بدلاً من جملة بقيتم مثلاً، في السياق وذلك لأن اللبث يعني الإقامة بالمكان والملازمة لهُ، ويكون ذلك لمدّة محدَّدة[١]– وإن طالت–. قال تعالى: [٢] ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ وقال عزّ وجل[٣] ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾.

أما جملة (بقي) فتعني "ثبات الشيء على حالته الأولى وهو يضاد الفناء"[٤] والباقي ضربان باقٍ بنفسه، وهو الباري – عزّ وجل– ولا يصح عليه الفناء سبحانه وباقٍ بغيره، وهو ما عداه – سبحانه– ويصح عليه الفناء. [٥]

والإنسان في الآخرة باقٍ بشخصه كما جاء عن أهل الجنّة بأنهم يبقون على التأبيد لا إلى مدّة قال تعالى: (خَالِدِينَ فِيْها) وشيء آخر باقٍ يبقى بنوعه وجنسه كما جاء عن أثمار أهل الجنَّة أنها تُقطف وتؤكل ويخلف مكانها مثلها. [٦]

ولكون ما في الآخرة باقٍ قال تعالى: [٧] ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾.

ويستنتج من هذا أن جملة بقي لا تناسب الحياة الدنيا والسؤال في الآية كان عن مدّة حياتهم في الدنيا، لذا كانت جملة ﴿ لَبِثْتُمْ ﴾ أنسب وأكثر دقّة في السياق

(١) الأصفهاني (الراغب الأصفهاني). في المفردات في غريب القرآن (لبث) (بتصرُّف).

(٢) سورة الكهف. الآية ١٩.

(٣) سورة العنكبوت. الآية ١٤.

(٤) الأصفهاني (الراغب الأصفهاني). في المفردات في غريب القرآن (بقي).

(٥) * المصدر السابق (بقي) (بتصرُّف).

(٦) * المصدر السابق (بقي).

(٧) سورة القصص. الآية ٦٠.

من غيرها وذلك هو شأن القرآن في اختيار ألفاظه ضمن السياق، يقول الرافعي: "... أيُّ معنى أعجب من أن تتجاذبك معاني الوضع في ألفاظ القرآن فترى اللفظ قارًّا في موضعه لأنّه الأليق في النظم، ثم لأنّه مع ذلك الأوسع في المعنى، ومع ذلك الأقوى في الدلالة، ومع ذلك الأحكم في الإبانة، ومع ذلك الأبدع في وجوه البلاغة، ومع ذلك الأكثر مناسبة لمفردات الآية مما يتقدّمه أو يترادف عليه.." (١)

ثمّ تأمّل قوله بعد ذلك: ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾، فرغم أنّ مصدر السؤال من العالم بكلّ شيء – عزّ وجلّ– بمدّة لبثهم في الدنيا إلاّ أنه يأتي السؤال عن هذه الفترة فقط "للتبكيت والتوبيخ"(٢)، ولبيان أن هذا العدد من السنين رغم طوله في الدنيا ورغم اعتقادهم أنه لن ينتهي، إلاّ أنهم – عند سؤالهم– لا يرون إلاّ قصره بل لايتعدّى يومًا أو بعض يوم، وهنا تبدو الحسرة الكامنة في نفوسهم، ويبيِّن السياق ذلك بقوله عزّ وجل على لسانهم: ﴿ **قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ** ﴾.

ومن الجانب النّحوي فقوله: ﴿ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ تمييز لـ ﴿ كَمۡ ﴾ الاستفهاميّة و﴿ سِنِينَ ﴾ مضاف إليه مجرور وعلامة جرّه الياء لأنها ملحقة بجمع المذكّر السالم، و﴿ يَوۡمًا ﴾ جاءت منصوبة، لأنها ظرف زمان متعلِّق بـ ﴿ لَبِثۡنَا ﴾ .

ويلاحظ هنا شكّهم في المدة بمجيء حرف ﴿ أَوۡ ﴾ العاطفة للشك، ونصبت ﴿ بَعۡضَ ﴾ للعطف على ﴿ يَوۡمًا ﴾.

---

(١) الرافعي (مصطفى صادق الرافعي). في إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. ص ٢٤٧.

(٢) الرازي (الفخر الرازي). في التفسير الكبير. ط.٣. بيروت. دار إحياء التراث العربي. بدون تاريخ. ج ٢٣. ص١٢٦.

أما قوله: ﴿ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴾ فالفاء واقعة في جواب الشرط المقدّر أي "إن شئت فاسأل العادين".(١)

وعلى هذا يكون في الآية إيجاز حذف في الجملة، إذ حُذفت جملة الشرط التي لو ذُكرت لذهب ما في الكلام من البهجة والطلاوة... ومع هذا لا نشعر بفجوة أو نقص في السياق؛ بل يبدو النظم على أحسن حال وأكمله.

وتأمل ما جاء في السياق على لسانهم: ﴿ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴾ وما أوحته من سوء الحال التي تشغلهم إلى الحدِّ الذي لا يستطيعون فيه عدّ السنين التي عاشوها في دنياهم مرفَّهين ساخرين من المؤمنين.

و﴿ ٱلْعَآدِّينَ ﴾ جمع، ومفردها (عاد)، وهي اسم فاعل ويراد بها هنا: الملائكة الذين يعدّون أعمار العباد ويحصون أعمالهم "وقريء (العادِين) بالتخفيف أي الظَلَمة فإنهم يقولون كما نقول.

ومن إجاباتهم السابقة، يُستدل على أنهم تذكّروا حياتهم في الدنيا وأنهم الآن في حياة الآخرة التي كانوا يستبعدونها وهم في حالهم تلك يظنون أن غيرهم مازال في الدنيا لذا لم يتورّطوا في الإجابة. (٢)

ثم يأتي الرد بعد ذلك بقوله تعالى:﴿ **قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ ففي هذا الرد يبدو الإيجاز والحذف في الكلام لأن قوله:﴿ **إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ لا يصلح أن يكون إجابة لكلام إلاّ بتقدير – قال بل لبثتم قرونًا– ونظيره قوله في الذي مرّ على قرية(٣)﴿ **فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ** ﴾.

(١) صافي (محمود صافي). في الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه. ج ١٨. ص ٢١٧.
(٢) ابن عاشور. في تفسير التحرير والتنوير. ج ١٨. ص ١٣٢ (بتصرُّف).
(٣) سورة البقرة. الآية ٢٥٩.

لذا وجب أن يكون التقدير –قال بل لبثتم قروناً، وإن لبثتم إلاّ قليلاً فيما عند الله، لأن اليوم عنده سبحانه كألف سنة مما تعدّون.

والقرينة مجيء ﴿ لَّوۡ ﴾ بعد ذلك ومعلوم ما تفيده من الامتناع في سياق قوله[1]﴿ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾.[2]

أي لو كنتم تعلمون لعلمتم أنكم ما لبثتم إلاّ قليلاً، لأن أيام الدنيا قليلة إن قيست بأيام الآخرة وطولها.[3]

وقيل: ﴿ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ أي تعلمون شيئًا أو لو كنتم من أهل العلم "والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه أي لعلمتم يومئذٍ قلّة لبثكم فيها كما علمتم اليوم ولعملتم بموجبه ولم تخلدوا إليها".[4]

ولعلَّ في انتقال التعبير بين الماضي في قوله ﴿ كُنتُمۡ ﴾ والمضارع في قوله ﴿ تَعۡلَمُونَ ﴾ دقّة واضحة في الجمع بين الحديث عن حالهم الماضية وحالهم الحاضرة (في آخرتهم) في سياق واحد، ففيه استحضار للصّورة الماضية وهي عدم علمهم.

ويأتي الاستفهام التقريري بعد ذلك في قوله: ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴾ أي توبيخ وتقرير "لأن لازم إنكارهم البعث أن يكون خلق الناس مشتملاً على عبث فنُزّلوا منزلة من حسب ذلك فقُرروا ووبِّخوا أخذًا لهم بلازم اعتقادهم"[5].

(١) سورة "المؤمنون". الآية ١١٤.
(٢) ابن عاشور. في المرجع السابق. ج ١٨. ص ١٣٣ (بتصرُّف).
(٣) الرازي (الفخر الرازي). في التفسير الكبير. ج ٢٣. ص ١٢٧ (بتصرُّف).
(٤) أبو السعود. في تفسير أبي السعود. ج ٦. ص ١٥٣.
(٥) ابن عاشور. في تفسير التحرير والتنوير. ج ١٨. ص ١٣٣.

﴿ أَنَّمَا ﴾ كافة مكفوفة ولكن أكَّدت مضمون الجملة بعدها أي كانوا في شك من جدوى خلقهم وأن ذلك كان لمجرّد اللهو واللعب وأن عودتهم وبعثهم لن يكون. يقول المراغي: "أظننتم أيها الأشقياء أنا إنّما خلقناكم إذ خلقناكم لعبًا وباطلاً؟ كلا، بل خلقناكم لنهذِّبكم ونعلِّمكم، لترتقوا إلى عالم أرقى مما أنتم فيه، لا كما ظننتم أنكم لا ترجعون إلينا للحساب والجزاء"(١).

أضف إلى ذلك ما أضفته لفظة ﴿ عَبَثًا ﴾ على السياق من معنى أوحى بالفوضى وعدم النظام إذ "يُقال لما ليس له غرض صحيح عبث"(٢)، وهي مصدر في موضع نصب حال أي عابثين أو مفعول لأجله أي لأجل العبث.(٣)

أما تقديم المعمول ﴿ إِلَيْنَا ﴾ على العامل ﴿ تُرْجَعُونَ ﴾ فدلّ على التخصيص، أي تخصيص العودة إلى المولى – عزّ وجل– لحسابهم. وجملة ﴿ وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ تذييل جاء في نهاية الآية ليزيد المعنى السابق تقوية وتوكيدًا وهو معطوف على الجملة السّابقة قوله: ﴿ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾.

ثم يأتي التعقيب بعد مشهد القيامة السابق، وبعد ذلك الجدل وتلك الحجج والدلائل والبيانات، وهو شيء، منطقي ونتيجة طبيعيّة لكل ما احتوته السورة الكريمة، نعم تعقيب يشهد بتنزيه الله – عزّ وجل– وتمجيده عن قولهم وما وصفوه به لأنه حق ومسيطر على الوجود لا إله إلاّ هو صاحب العرش والسلطان والسيطرة والاستعلاء. (٤)

(١) المراغي (أحمد مصطفى المراغي). في تفسير المراغي. ط. ٥. القاهرة. مكتبة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، سنة ١٩٧٤م. ج ١٨. ص ٦٣.
(٢) الأصفهاني (الراغب الأصفهاني). في المفردات في غريب القرآن (عبث).
(٣) صافي (محمود صافي). في الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه. ج ١٨. ص ٢١٩ (بتصرُّف).
(٤) قطب (سيد قطب). في (في ظلال القرآن). ج ١٨. ص ٢٤٨٢ (بتصرُّف).

استمع إلى قوله تعالى بعد كل ذلك: ﴿ **فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ** ﴾ الفاء واقعة في جواب شرط محذوف والتّقدير (إذا كان ما تقدّم من قدرة الله وبعثهم من جديد وحسابهم وخسرانهم وندمهم، فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو...)إلخ ، وفيه تعظيمه وتقديسه وتنزيهه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله سبحانه، ومنه أن يظن فيه خلق البشر عبثًا سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا[1]، ونجد هذا المضمون في آيات أخرى من القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: [2] ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾.

وقوله – عزّ من قائل:[3]﴿ **وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾** ﴾ وقوله[4] ﴿ **أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾** ﴾.

ويُلاحظ مجيء لفظ (تعالى) في الآية، وهو مأخوذ من العُلو وهو يعني هنا علوّه – سبحانه– أن يحيط به وصف الواصفين.

أما "تخصيص لفظ التفاعل في [تعالى] لمبالغة ذلك منه لا سبيل التكلّف كما يكون من البشر".[5]

---

(١) الشنقيطي (محمد الأمين بن المختار الجكني الشنقيطي). في أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. ط. بدون. بيروت. عالم الكتب. بدون تاريخ. ج ٥. ص ٨٣١ (بتصرُّف).

(٢) سورة ص. الآية ٢٧.

(٣) سورة الدخان. الآيتان ٣٨)٣٩.

(٤) سورة القيامة. الآية ٣٦.

(٥) الأصفهاني (الراغب الأصفهاني). في المفردات في غريب القرآن (علا). يُقصد أنّ التفاعل في (تعالى) ليس للتكلّف ولا للتفاعل الحقيقي الذي يكون بين طرفين، فهو يتمخض للمبالغة في العلو والتنزّه لا غير.

كما يردف السياق هنا لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهُ ﴾ بدلاً من الرب مثلاً لأن المقام هنا يختص بالألوهيّة والتوحيد وليس بالتربية والعناية فلفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهُ ﴾ لا يكون إلاّ له عزّ وجل. أما الرب فيمكن أن يكون لأي سيّد ومرب من البشر.

كذا نلاحظ بلاغة السياق ودقّته بإرداف لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهُ ﴾ بصفتي (الملك الحق) "فالمالك للأشياء هو الذي لا يبيد ملكه ولا تزول قدرته، أما الحقُّ فهو الذي يحق له الملك لأن كل شيء منه وإليه وهو الثابت الذي لا يزول، ولا يزول ملكه" – عزّ وجل–(١).

والحقّ هنا أيضًا بمعنى مقابلة الباطل أي أن ملكُه – عزّ وجل– ملك حقيقي غير مقيّد بزمان أو مكان، أو نقص أو احتياج، "لأن كل من ينسب إليه الملك – عدا الله تعالى– هو مالك من جهة ومملوك من جهة، لما فيه من نقص واحتياج؛ فهو مملوك لما يتطلبه من تسديد نقصه بقدر الحاجة ومن استعانة بالغير لجبر احتياجه فذلك ملك باطل لأنه ادّعاء ملك غير تام".(٢)

أما قوله ﴿ **لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ** ﴾ أسلوب قصر أفاد تخصيص الألوهيّة به – سبحانه– والجملة في محل نصب حال من لفظ الجلالة، وهو قصر حقيقي تحقيقي لا ادّعاء فيه ولا إضافة.

أما قوله ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ أي، إذا كان الله سبحانه وتعالى إلهًا وربًا للعرش(٣) فكيف لا يكون ربًا لما هو دونه من المخلوقات؟!

(١) الرازي (الفخر الرازي). في التفسير الكبير. ج ٢٣. ص ١٢٨.

(٢) ابن عاشور. في تفسير التحرير والتنوير. ج ١٨. ص ١٣٥.

(٣) العرش. جرم عظيم وراء عالم الأجرام والأجسام وهو أعظمها وقد جاء في وصف عظمة ما يبهر العقول. فلزم أن يكون ربه هو رب كل ما هو دونه من الأجسام والأجرام. انظر ما جاء عند: الألوسي في روح المعاني. ج ٨. ص ٧١ (بتصرُّف)، كذا عند الشوكاني في فتح التقدير الجامع بين فني الرواية والدِّراية من علم التفسير. ج ٣. ص ٥٠١.

وقوله ﴿ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ قُرِئت بالرفع على أنها نعت لـ ﴿ رَبُّ ﴾، وقُرِئت بالجر أي: وصف للعرش ووصِف العرش بالكريم، لأنه موضع لنزول الرحمة والخير منه، أو باعتبار من استوى عليه – سبحانه–[١] وقيل إن "إسناد الكرم إليه مجازي والمُراد الكريم ربّه أو المراد ذلك على سبيل الكناية، وقيل هو على تشبيه العرش لنزول الرحمة والبركة منه بشخص كريم".[٢]

وأرى أن النعت هنا للرب – سبحانه– فكرمه – عزّ وجل– يشمل كل ما هو دونه – جلّ وعلا–.

ثم يأتي قوله تعالى:[٣] ﴿ **وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ** ﴾ ﴿ وَمَن ﴾. الواو لاستئناف الكلام، و﴿ مَن ﴾ شرطيّة في محل رفع مبتدأ، وجوابها قوله ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ ﴾، أما قوله ﴿ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ فالبرهان هو بيان للحجة وهو فُعلان، وقيل هو أوكد الأدلّة، وهو الذي يقتضي الصِّدق أبدًا لا محالة[٤]، وهو يُفيد نفي وجود البرهان مطلقًا نفيًا قاطعًا.

أما الحجة فهي "الدلالة المبيّنة للحجّة أي المقصد المستقيم والذي يقتضي صحّة أحد النقيضين".[٥]

---

(١) الشوكاني. في فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدِّراية من علم التفسير. ج ٣. ص ٥٠١ (بتصرُّف).

(٢) الألوسي. في روح المعاني. ج ١٨. ص ٧١.

(٣) سورة "المؤمنون". الآية ١١٧.

(٤) الأصفهاني (الراغب الأصفهاني). في المفردات في غريب القرآن (بره).

(٥) * المصدر السابق (حج).

ومما سبق تتّضح بلاغة القرآن ودقّته في مجيء لفظ ﴿ بُرۡهَٰنَ ﴾ في السياق بدلاً من (حجّة) إذ إن البرهان يعني بيانًا للحجة فهو أقوى في الإثبات.

وعلى هذا فإن حسابه – سبحانه وتعالى– يكون للذين ادعوا معه آلهة دعوى لاعذر لهم فيها لأنها خالية من البرهان ولأنّهم بفعلهم هذا لم يثبتوا له – سبحانه– الملك الكامل المطلق كما أنهم بإشراكهم ذلك لم يثبتوا له عظيم التصرُّف، وعلى هذا المعنى يكون "قوله ﴿ **لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ** ﴾ حال من ﴿ **مَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ** ﴾ وهي حال لازمة لأن دعوى الإله مع الله لا تكون إلاّ عريَّة عن البرهان".(١)

وذكر أبو حيّان أن "قوله: ﴿ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ صفة لازمة للاحتراز من أن يكون ثم آخر يقوم عليه بُرهان فهي مؤكّدة كقوله يطير بجناحيه ويجوز أن تكون جملة اعتراض إذ فيها تشديد وتأكيد فتكون لا موضع لها من الإعراب كقولك من أساء إليك لأحق بالإساءة منه فأسيء إليه".(٢)

وأرى أن جملة ﴿ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ اعتراضيّة، جاءت للتنبيه على أن من يدّع مع الله إلها آخر ليس له بُرهان على ذلك.

أما قوله: ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾ فالفاء واقعة في جواب الشرط لربط جملة الشرط بالجزاء و﴿ إِن﴾ مؤكدة لمضمون الجملة بعدها والأسلوب إنشائيّ من الضرب غير الطلبي، لأن المخاطب وهو الرسول الكريم – صلّى الله عليه

(١) ابن عاشور. في تفسير التحرير والتنوير. ج ١٨. ص ١٣٦.

(٢) أبو حيان الأندلسي. في تفسير البحر المحيط. ج ٦. ص ٤٢٥.

وسلّم– يظن أنه قد قَصَّر في الدعوة لعدم إيمانهم بدليل ما جاء في آية أخرى بقوله: (١) ﴿ لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣ ﴾ أيّ قاتل نفسك.

وعلى هذا المعنى يكون القصر إضافيًا(٢) – باعتبار حاله – صلّى الله عليه وسلّم– أما إذا نُظر إلى المعنى مجرّدًا من حال المخاطب فالقصر حقيقي لا محالة، لأن الحساب والجزاء لا يكون إلاّ عند الله – عزّ وجل–.

وقوله ﴿ حِسَابُهُۥ ﴾ كناية عن المجازاة، أي كأنه قيل: "من يعبد مع الله – تعالى– فالله سبحانه مجازٍ له على قدر ما يستحقّه".(٣)

أما قوله ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ ﴾ فصل جاء لكمال الاتصال فالجملة جاءت إيضاحًا وبيانًا لما أبهم في قوله: (فإنما حسابه عند ربه) وفي هذا الإيضاح بعد الإبهام سرّ بلاغيّ يبدو في تمكين المعنى في نفس السّامع أو القارئ لتشوّقه إليه قبل ذلك، ويلاحظ افتتاح الجملة بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ وهي مؤكِّدة لمضمون الجملة..، ولعلّ من البلاغة هنا أن يأتي قوله ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ ﴾ بعد قوله ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾ لأن من يسمع قوله ﴿ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾ يعتقد أن ربَّه وسيّده قد يتجاوز عنه لأنه مربّيه ويعلم حاله.. فيأتي التأكيد صارمًا "بإنَّ" لدفع الشك أو الظّن في التجاوز والمغفرة فيقول تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ ﴾.

(١) سورة الشعراء. الآية ٣.

(٢) القصر الإضافي. إذا نظر فيه إلى حال المخاطب يقسم إلى ثلاثة أقسام. انظر ما جاء عند: لاشين (د. عبد الفتاح لاشين). في المعاني في ضوء أساليب القرآن. ص ٢٠٣ (بتصرُّف)، كما عرفه الجرجاني بقوله هو الإضافة إلى شيء آخر، بألاّ يتجاوزه إلى ذلك الشيء وإن أمكن أن يتجاوزه إلى شيء آخر في الجملة. انظر الجرجاني (علي بن محمد بن علي الجرجاني). في التعريفات. ط. ٤. بيروت. دار الكتاب العربي، سنة ١٩٩٨م. ص ٢٢٥.

(٣) الألوسي. في روح المعاني. ج ١٨. ص ٧٢.

وقُرِئَتْ بفتح الهمزة، أي أنّه لا يفلح الكافرون "ومعناه حسابه عدم الفلاح"[١] وذكر الشوكاني أن الفتح على التعليل وقُرِئَت بالكسر للاستئناف.[٢]

وتبدو الدقّة والبلاغة القرآنيّة في مجيء جملة ﴿ يُفۡلِحُ ﴾ بدلاً من – يفوز– مثلاً، فالفلاح: يكون دنيويًا وأخرويًا، والفلاح الأخروي هو المقصود هنا؛ لأنه يكون بأربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعزّ بلا ذلّ، وعلم بلا جهل.[٣]
أما الفوز "فهو الظفر بالخير مع حصول السلامة..." [٤].

وجملة "يفلح" في الآية الكريمة أكثر دقّة وأبلغ لسببين:

السبب الأول: لأن الفلاح يتحقّق في الآخرة بأمور أربعة – وهي المذكورة آنفًا– وهذا لا يكون مع الفوز، فالفلاح أقوى وأشمل.

والسبب الآخر: لأنها مناسبة لما جاء في أول السورة ولقوله[٥]﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ﴾ وفي اختيار جملة ﴿ لَا يُفۡلِحُ ﴾ دعوة إلى عقد المقارنة بين فلاح المؤمنين، وخُسران الكافرين، فشتّان بين الفريقين، هذا فضلاً عن التذييل الذي أضفى على السياق تقوية وتأكيدًا في قوله ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾.

---

(١) الرازي (الفخر الرازي). في التفسير الكبير. ج ٢٣. ص ١٢٨.

(٢) الشوكاني. في فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدِّراية من علم التفسير. ج ٣. ص ٥٠١ (بتصرُّف).

(٣) الأصفهاني (الراغب الأصفهاني). في المفردات في غريب القرآن (فلح).

(٤) * المصدر السابق (فوز).

(٥) سورة "المؤمنون". الآية ١.

أضف إلى ذلك، مجيء الجملة ﴿ يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ مع ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ وعدم التعبير – بلن يفلح– مثلاً، وما ذاك إلاّ ليدل على استمراريّة هذا الأمر، وهو عدم الفلاح الدائم لهم وليس في زمن المستقبل فحسب – ونفي الفلاح عنه يدل على هلاكه وأنه من أهل النار – والله أعلم–.

ثم تأتي خاتمة الحوار بتربية إلهية لا يُمكن الاستغناء عنها، يقول تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ والأمرهنا في ﴿ وَقُل ﴾ "للرسول – صلّى الله عليه وسلّم–" أمره بدعائه – عزّ وجل– بالمغفرة والرحمة، والمقصود بالمغفرة هنا "هو ستر الذنوب بعفو الله وحلمه حتى لا يظهر لها أثر يتضرّر بها صاحبها، والرحمة صفة الله التي اشتق لنفسه منها اسمه الرحمن واسمه الرحيم: وهي صفة تظهر آثارها في خلقه الذين يرحمهم. (١)

وحذف متعلِّق كل من الفعلين، اغفر، ارحم، إما لمعرفته بقرينه المقام، أي اغفر لي وارحمني(٢)، أو لتفويض الأمر له – سبحانه– "في تعيين المغفور لهم والمرحومين"(٣).

وأرى أن حذف المتعلّق هنا للتعميم في طلب المغفرة والرحمة، فالمعلوم أن القرآن الكريم منهج تربوي إلى جانب كونه كتابًا شرعيًّا، فهذا تعليم له – صلّى الله عليه وسلّم– وهو الرحمة المُهداة أن يطلب المغفرة والرحمة على الدوام لأنه – تعالى– خير الراحمين، فالمخلوقين قد يرحم بعضهم بعضًا، لكن رحمة الله – عزّ

(١) الشنقيطي. في أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. ج ٥. ص ٨٣٤.
(٢) ابن عاشور. في تفسير التحرير والتنوير. ج ١٨. ص ١٣٧ (بتصرُّف).
(٣) * المصدر السابق. ج ١٨. ص ١٣٧.

وجل– تُخالِف رحمة خلقِه، كمخالفة الذات الإلهيّة لذواتهم، وكمخالفة سائر صفاته لصفاتهم. ومن هنا جاء التعبير بأفعل التفضيل ﴿ خَيْرُ ﴾[1].

كذا في تقديم ﴿ أَنتَ ﴾ وهو المسند إليه على المسند (خير الراحمين) أسلوب قصر إذ خُص – سبحانه– بأنه خير الراحمين، فهو قصر للموصوف – عزّ وجل– على صفة الرحمة، أو هو قصر بتعريف الطرفين تعريف (خير) بالإضافة إلى المعرفة (الراحمين).

(١) الشنقيطي. في أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. ج ٥. ص ٨٣٤ (بتصرُّف).

تعقيب مقارنة

إذا أردنا أن نعود إلى آيات الحوار السابقة _موضوع البحث_ لنستنبط منها العبرة والعظة، فإننا لا يفوتنا أن نقول إن الطريقة الحواريّة التي عرض لنا فيها سياق القرآن الكريم ندم الكافرين وحيرتهم في لحظة لا ينفع فيها الندم أو الحسرة، كانت أشد تأثيرًا وأقرب إلى نفس السامع أو القاريء، من التوجيه المباشر الصريح، بل إنها تأخذ بلبِّه ومشاعره بعيدًا عن مجال الإرشاد، حتى لكأنه يشهد المشهد بشخصه وكيانه، فيتفاعل معه ويرثي لحال هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم. فتدفعه نفسه إلى اتّخاذ كل ما ينأى به عن سُبل الضياع والغفلة. فتزكو نفسه وتطهر مشاعره، بلا قصد أو تعمّد؛ وما ذاك إلاّ لأن القرآن الكريم يسري في كيان قارئه أو سامعه سريان الروح في الجسد(١)، يقول تعالى: (٢) ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا** ﴾ فضلاً عن أن تنوُّع الأساليب في عرض الفكرة في القرآن يساعد على تقبّل هذه الفكرة والتجاوب معها، وما ذاك التنوّع فيه إلاّ لتحقيق مقاصده العالية، في تناسق بديع، وتفنُّن عجيب، لا مثيل له في بيانه وجماله؛ وذلك لأنه يأتي بالأسلوب المناسب في المكان المناسب؛ ليؤدي دلالته التي لا يؤديها غيره في محله. (٣)

ولعلّنا ندرك ذلك لو عرضنا بعض الآيات الأخرى التي تتحدَّث عن نفس الفكرة التي تحدَّثت عنها الآيات – التي تمّت دراستها– وإبراز بعض وجوه البيان فيها.

---

(١) البيومي (د. محمد رجب البيومي). في البيان القرآني. ط. ١. القاهرة. الدار المصرية اللبنانية، سنة ٢٠٠١م. ص ١٨٠ (بتصرُّف).

(٢) سورة الشورى. الآية ٥٢.

(٣) النقراط. (عبد الله محمد النقراط). في بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم. ط.١. دمشق. دار قتيبة للطباعة والنشر. سنة ٢٠٠٢م. ص ٥٥٣ (بتصرُّف).

فمن هذه الآيات المماثلة لها قوله تعالى مبيّنًا طريقة إبراهيم – عليه السلام– في استدراج قومه في حواره معهم إلى الاعتراف بعجز آلهتهم واعترافهم بتقليدهم لآبائهم:(١) ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ إلى آخر هذا الحوار بين النبي الكريم وقومه

(١) سورة الأنبياء. الآيات ٥١)٧٠.

المكذِّبين. كذا الحوار الذي جاء في سورة إبراهيم في موقف مشابه إذ يقول تعالى: [1] ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾ إلى آخر هذه الآيات التي توضّح موقف الذين ظلموا أنفسهم من ربِّهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلبٍ سليم. والتي يبدو فيها الحوار مع الظالمين وحسرتهم وتبكيتهم وتذكيرهم بما كانوا فيه من عناد ومكابرة، وتذكيرهم بوعد الله تعالى لرسله وعزّته – سبحانه– وقوّة انتقامه.

ويبدو التوبيخ واضحًا في هذه الآيات أكثر من الآيات التي دُرست في سورة "المؤمنون" في حين تبدو الحسرة والتذلُّل من قِبَل الكفّار والتوبيخ وإقامة الحجّة من قِبَل المولى – عزّ وجل– أكثر في آيات سورة "المؤمنون" – كما وضح من خلال الدراسة والتحليل السابق.

ولم يكتفِ القرآن الكريم بهذين الموضعين منه فحسب لإثبات قضيّة التوحيد، ونبذ الشرك وبيان آثاره السيئة على متّبعيه، بل نجد ذلك في آيات ومشاهد حواريّة أخرى عرضها لنا القرآن الكريم...، بأبلغ تركيب وأفصح لفظ وأبدع نظم وأكمله.. [2]، ولنقرأ على سبيل المثال قوله تعالى: [3] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ

(١) سورة إبراهيم. الآيات من ٤٤)٤٦.

(٢) نفس المعنى في سورة الفرقان. الآيات من ٢٧)٢٩، وسورة الزمر. الآيات ٥٦)٦١، وسورة الجاثية. الآيات من ٣١) آخر السورة.

(٣) سورة غافر. الآيات ٤٩)٥٢.

جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾.

ففي الآيات السابقات يتضح كيف يتشابه المشهد المذكور فيها مع مشهد آيات سورة "المؤمنون"، إذ يذكر حال الكفّار أثناء مكوثهم في النار، وطلبهم من الملائكة أن يُخفَّف عنهم العذاب فلا يجابون إلاّ بالتأنيب والتوبيخ وعدم الاستجابة لدعائهم..، ثم يؤكد نصر المرسلين ومن معهم بينما تبوء مقدرة الظالمين بالفشل الذريع ولا ينالون إلاّ الطَّرد من رحمته – تعالى– وسوء المقام في الآخرة.

فنلاحظ نفس المعاني – تقريبًا– في مواضع مختلفة بأساليب معجزة ونظم بديع، ولا تشعر معها بملل أو سآمة عند القراءة بل كأن كل مشهد يُعَرض علينا لأوّل مرة، وكأن الأذن لم تستمع إلى مثله من قبل، بل كأن فهمك لم يستوعبه قبل اللحظة. ذلك هو شأن القرآن الكريم متجدّد دائمًا ولا يُمل على كثرة التكرار، فكلّما قرأت منه آية شعرت بالحاجة إلى قراءة غيرها، وكلّما فهمت جزءًا شدّك إلى ما بعده، وهكذا... إلى أن يمنّ الله عليك بعادة مدارسته وقراءته آناء الليل وأطراف النهار فلا يغادرك ولا تغادره إلاّ مضطرًا لحاجة من حاجات الدنيا.

ولعلّنا لا نتجاوز الحقيقة إن ذكرنا أن آيات القرآن وإن تعدّدت فيها القصص وجاءت في مشاهد حواريّة مختلفة – أو غير حواريّة– إلاّ أنها تعطيك في كلِّ مرة جانبًا يختلف عن الجانب الذي تحدّثت عنه الآية الأخرى، فضلاً عن دقّة اللفظ، وبلاغة التركيب، وجودة السَّبك، وبديع النظم، في كل آية من آياته.

يقول الرماني عن الحكمة في تصريف القول في القصص القرآني:

"أما تصريف المعنى في الدلالات المختلفة فقد جاء في القرآن في غير قصة، منها قصة موسى – عليه السلام– ذُكرت في سورة "الأعراف" وفي "طه" و"الشعراء" وغيرها؛ لوجوه من الحكمة، منها التصرُّف في البلاغة من غير نقصان عن أعلى مرتبة، ومنها تمكين العبرة والموعظة ومنها حل الشبهة في المعجزة"(١).

ذلك هو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه تنزيل من حكيم حميد.

(١) الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى الرماني). في النكت في إعجاز القرآن (ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن). للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني. تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام. ط. بدون. القاهرة. دار المعارف. بدون تاريخ. ص ٩٣.

الخاتمة

بفضل من الله وتوفيق تمكّن البحث من دراسة آيات المشهد الحواري الـذي عرضه علينا القرآن الكريم في خواتيم سورة "المؤمنون" وهو من الآيات ٩٩-١١٨. وقد بدا لنا من خلال الدراسة المتأنيّة لهذه الآيات دقّة اللفظ في سياقه مـع بلاغتـه، فضلاً عن قوّة التركيب، وجودة سبك الألفاظ فيه، أضف إلى ذلك ما أمكن الوصول إليه من بلاغة ذلك التركيب، وما امتازت به الآيات القرآنيّة مـن إيجـاز حينًـا أو إطناب حينًا آخر، أو فصل أو وصل أو تقديم ما حقّه التأخير، أو العكس من ذلـك، كل ذلك لتحقيق أغراض بلاغيّة عالية- تمّت الإشارة إليها في موضعها من البحث-.

هذا ومن خلال استقراء القرآن الكريم كاملاً – للإشارة إلى مواضع الحوار فيه وذكر الأطراف المتحاورة- تمكّن البحث من الوصول إلى النتائج الآتية:

تداخل آيات الحوار مع الآيات الأخرى، تداخلاً قويًا، مع حسن الـربط فـي السياق، إلى الحد الذي لا يتمكّن فيه القاريء المتأمّل من التفرقـة بـين الحـوار أو السرد، أو مجرّد التساؤلات التي يُترك الرد عليها للطرف الآخر، دون إثبات ذلك في النص القرآني، وما ذاك إلاّ لأنه أدعى للبلاغة وأجمل في مكانه(١).

قد يُفهم من السياق وجود حوار وذلك عند الحذف من الآية للإيجاز(٢).

بعض الآيات مصدّرة بفعل "قال" ولا تُشعِرك بالحوار ولا هي منـه؛ وإنّمـا تدخل ضمن السرد، وقد تأتي الإجابة عليها بدون حوار واضح(٣)، أو قد يكون المراد منها خطاب من المولى – عزّ وجل- لنبيّه الكريم حتى يعلّمه شيئًا ما. (٤)

(١) انظر سورة القمر. الآيات ٤٣، ٤٤، ٤٥، وسورة الواقعة. الآيات ٤٧)٧٣، وسورة الحشر. الآيتان ١١)١٢، وسورة الزخرف. الآيات ١٦)١٧)١٨)١٩، وسورة الصف. الآية ١٤، وسورة الجاثية. الآيتان ٢٤، ٢٥ وغيرها كثير.

(٢) انظر على سبيل المثال سورة الزخرف. الآيتان ٨٧)٨٨، وسورة المجادلة. الآية ٨، وسورة نوح. من الآية ٢)٢٣، وسورة القيامة. الآيات ١٠)١٢ وغيرها.

(٣) انظر سورة ق. الآيات٢٣)٢٩، وسورة المدثّر. الآيات ٢٣)٢٩، وسورة الأحزاب. الآية ٢٢.

(٤) انظر سورة الأحزاب. الآيات ٢٨)٢٩، ٥٩، وسورة سبأ. الآيات ٤٦)٥٠.

بعض الآيات تعرض على هيئة أسئلة، وتأتي إجابتها في السياق فتبدو كأنها من الحوار؛ وذلك لتنشيط السامع وإعطاء المعنى حيويّة وتأثيرًا(١).

كذلك وجدت بعض الآيات التي تأتي بأسئلة ولا يُجاب عليها وإنّما يُترك للسامع أو القاريء الرد عليها فكأنّها حوار معه(٢).

لا يوجد الحوار في كلِّ سور القرآن الكريم، رغم أنه يشغل مساحة كبيرة منه. (٣)

هذه بعض النتائج التي أمكن الوصول إليها من خلال الدراسة السابقة، والله ﷻ أسأله التوفيق والسداد وأن لا يحرمنا من أجر إنه على ما يشاء قدير.

سبحان ربّك رب العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

(١) انظر سورة عبس. الآيات ١٨)١٩، وسورة الانفطار. الآيات ١٨، ١٩، ٢٠، وسورة المطففين. الآيات ٨)١٢، وسورة الطارق. الآيات ٢، ٣، ٤، ٥، وسورة الفيل. الآيات ١)٥، وسورة الماعون. الآيات ١)٣ وغيرها في القرآن كثير.

(٢) سورة الانفطار. الآيات ٦)٨، وسورة المطففين. الآيات ٤)٦، وسورة الغاشية. الآيات ١٧)٢٠ وغيرها كثير.

(٣) ذكر صاحب (طرق العرض في القرآن) إن الدراسة الإحصائية كشفت عن أن الحوار يظهر في سبعمائة وخمس وثلاثين آية (٧٣٥) وهذا الحوار لا يشمل الحوار في القصص أي بنسبة تقدّر باثنتي عشرة في المائة (١٢%) من حجم القرآن. انظر ما جاء عند: باطاهر (بن عيسى باطاهر). في طرق العرض في القرآن، الأهداف والخصائص الأسلوبية. حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية (الحولية الثانية والعشرون الرسالة ١٧٨). مجلس النشر العلمي. جامعة الكويت، سنة ٢٠٠٢م.

مصادر البحث ومراجعه

١- **القرآن الكريم**.

– أ –

٢- ابن الأثير (أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد عبد الكريم). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ط.د. المكتبة العصرية. بيروت، ١٩٩٠م.

٣- ابن الجزري (الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي). النشر في القراءات العشر تصحيح ومراجعة. علي محمد الصباغ. ط.د. دار الفكر للطباعة والنشر. القاهرة.

٤- ابن عاشور (محمد الطاهر). تفسير التحرير والتنوير. ط.د. دار سحنون للنشر والتوزيع. تونس، ١٩٩٧م.

٥- ابن فارس (أبو الحسن أحمد ابن فارس بن زكريا). معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام هارون. ط.٢. دار إحياء الكتب العربيّة عيسى اليابي الحلبي وشركاه. القاهرة، ١٩٦٩م.

٦- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي). تفسير ابن كثير. ط.د. دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت، ١٩٨١م.

٧- ابن منظور (جمال الدين بن مكرم الأنصاري). لسان العرب. طبعة مصوّرة عن طبعة بولاق. المؤسسة المصرية للنشر. القاهرة. د.ت.

٨- أبو حيان (محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي). تفسير البحر المحيط. ط.٢. دار الفكر. بيروت، ١٩٨٢م.

٩- أبو السعود (محمد بن محمد بن مكرم العمادي). إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. ط.د. دار إحياء التراث العربي. بيروت. د.ت.

١٠- أبو موسى (محمد محمد) أ- خصائص التراكيب. دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني. ط.٢. مكتبة وهبة. القاهرة، ١٩٨٠م.

١١- ب- دلالات التراكيب. دراسة بلاغية. ط.١. مكتبة وهبة. القاهرة، ١٩٧٩م.

١٢- إسماعيل (د. عز الدين). الأدب وفنونه. ط.٧. دار الفكر العربي. القاهرة، ١٩٧٨م.

١٣- الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب). المفردات في غريب القرآن. تحقيق وضبط محمد سيّد كيلاني. ط.د. دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت. د.ت.

١٤- الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسي البغدادي). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ط.د. جديدة ومصحّحة. دار الفكر. بيروت، ١٩٨٣م.

١٥- أمين (أحمد أمين). النقد الأدبي. ط.٤. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة، ١٩٧٢م.

١٦- أمين (د. بكري شيخ أمين). البلاغة في ثوبها الجديد. (علم المعاني). ط.٣. دار العلم للملايين. بيروت، ١٩٩٠م.

- ب -

١٧- بنت الشاطيء (د. عائشة عبد الرحمن). الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق. دراسة قرآنية لغوية وبيانية. ط.٢. دار المعارف. القاهرة، ١٩٨٤م.

١٨- البيومي (د. محمد رجب). البيان القرآني. ط.١. الدار المصرية اللبنانية. القاهرة، ٢٠٠١م.

- ت -

١٩- التفتازاني (سعد الدين بن مسعود). أ. المطول في شرح تلخيص مفتاح العلوم. تحقيق عبد الحميد هنداوي. ط.١. منشورات محمد علي بيضون. دارالكتب العلمية. بيروت، ٢٠٠١م.

٢٠- ب- مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح (ضمن شروح التلخيص) ط.د. دار السرور. بيروت. د.ت.

٢١- تقي الدين (السيد). من الوجهة الأدبية في دراسة القرآن الكريم. ط.د. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. د.ت.

– ج –

٢٢- الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن النّحوي):

أ- كتاب التعريفات. تحقيق إبراهيم الإبياري. ط.٤. دارالكتاب العربي. بيروت، ١٩٩٨م.

٢٣- ب- كتاب دلائل الإعجاز. تعليق محمود محمد شاكر. ط.٣. مطبعة المدني. مصر. دار المدني جدة. ١٩٩٢م.

٢٤- الجعلي (د. إبراهيم طه أحمد). من بلاغة القرآن. ط.د. مكتبة المتنبي. الدمام. المملكة العربية السعودية. د.ت.

– ر –

٢٥- الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد). المفردات في غريب القرآن. تحقيق محمد سيد كيلاني. ط.د. دار المعرفة. بيروت. د.ت.

٢٦- الرافعي (مصطفى صادق). إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة. ط.٩. دار الكتاب العربي. بيروت. ١٩٧٣م.

٢٧- رضا (فؤاد علي). من علوم القرآن. ط.١. دار اقرأ. بيروت، ١٩٨٢م.

٢٨- الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى). النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن). تحقيق محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلاّم. ط.د. دار المعارف. القاهرة. د.ت.

– ز –

٢٩- الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق). كتاب حروف المعاني. تحقيق د. علي توفيق الحمد. ط.٢. مؤسسة الرسالة. بيروت. دار الأمل. الأردن، ١٩٨٦م.

٣٠- الزمخشري (أبو القاسم جاد الله محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي):

أ- أساس البلاغة. تحقيق عبد الرحيم محمود. ط.د. دار المعرفة. بيروت، ١٩٨٢م.

٣١- ب- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تحقيق محمد الصادق قمحاوي. ط. الأخيرة. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة، ١٩٧٢م.

– س –

٣٢- السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي). مفتاح العلوم. ضبط وتعليق نعيم زرزور. ط.٢. دار الكتب العلمية. بيروت، ١٩٨٧م.

٣٣- السيوطي (جلال الدين الشافعي). الإتقان في علوم القرآن. ط.د. دار الفكر. بيروت. د.ت.

– ش–

٣٤- شرشر (د. محمد حسن). لباب البيان. ط.٢. دار الكتاب الجامعي. القاهرة. د.ت.

٣٥- الشنقيطي (محمد الأمين بن محمد المختار الجكني). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. ط.د. د.ت. عالم الكتب. بيروت.

٣٦- الشوكاني (محمد بن علي بن محمد). فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير. ط.٢. مصطفى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة، ١٩٦٤م.

– ص –

٣٧- صافي (محمود). الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة. ط.١. دار الرشيد. دمشق. مؤسسة الإيمان. بيروت، ١٩٩١م.

٣٨- الصعيدي (عبد المتعال). النظم الفني في القرآن. ط.د. مكتبة الآداب ومطبعتها. القاهرة. د.ت.

– ط –

٣٩- طبانة (بدوي). مُعجم البلاغة العربية. ط.٣. دار المنارة بجدة. دار الرفاعي. الرياض، ١٩٨٨م.

٤٠- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير). جامع البياني عن تأويل آي القرآن. ط.٣. شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة، ١٩٦٨م.

– ع –

٤١- عباس (فضل حسن). البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني). ط.١. دار الفرقان. الأردن، ١٩٨٥م.

٤٢- عبد الباقي (محمد فؤاد). المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. ط.د. دار ومطابع الشعب. القاهرة. د.ت.

٤٣- العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل). كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر). تحقيق محمد البجاوي. محمد أبو الفضل إبراهيم. ط.٢. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة. د.ت.

٤٤- العلوي (يحيى بن حمزة بن علي العلوي اليمني). كتاب الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. تحقيق وضبط جماعة من العلماء بإشراف الناشر. ط.د. دار الكتب العلمية. بيروت. د.ت.

٤٥- عمايرة (خليل أحمد). في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق). ط.١. عالم المعرفة. جدة، ١٩٨٤م.

– ف –

٤٦- الفخر الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الشافعي). التفسير الكبير. ط.٣. دار إحياء التراث العربي. بيروت. د.ت.

٤٧- الفرّاء (أبو زكريا يحيى بن زياد). معاني القرآن. ط.٢. عالم الكتب. بيروت، ١٩٨٠م.

٤٨- فيُّود (بسيوني عبد الفتاح):

أ- علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني. ط.٢. مؤسسة المختار. القاهرة. دار المعالم الثقافية. الإحساء، ١٩٩٨م.

٤٩- ب- علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع. ط.٢. مؤسسة المختار للنشر. القاهرة. دار المعالم الثقافية للنشر، ١٩٩٨م.

– ق –

٥٠- القباني (حسين). فن كتابة القصة. ط.د. المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر. القاهرة، ١٩٦٥م.

٥١- القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري). تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن. ط.د. (كتاب الشعب). دار الشعب. القاهرة. د.ت.

٥٢- القزويني (محمد بن عبد الرحمن الخطيب):

أ- الإيضاح في علوم البلاغة. شرح وتحقيق. د. محمد عبد المنعم خفاجي. ط.٣. دار إحياء الكتب العربية. بيروت، ١٩٧١م.

ب- تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع. وبهامشه مختصر المعاني للتفتازاني. ط. الأخيرة. شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة، ١٩٦٥م.

٥٣- قطب (سيّد). في ظلال القرآن. ط. الشرعية١١. دار الشروق. جدة، ١٩٨٢م.

– ل –

٥٤- لاشين (عبد الفتاح):

أ- البديع في ضوء أساليب القرآن. ط.٣. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة، ١٩٨٦م.

٥٥- ب- صفاء الكلمة. ط.د. دار المريخ للنشر. الرياض، ١٩٨٣م.

٥٦- ج- المعاني في ضوء أساليب القرآن. ط.٤. دار الفكر. القاهرة، ١٩٩٨م.

– م –

٥٧- المراغي (أحمد مصطفى). تفسير المراغي. ط.٥. مكتبة مصطفى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة. ١٩٧٤م.

– ن –

٥٨- النقراط (عبد الله محمد). بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم. ط.١. دار قتيبة للطباعة والنشر. دمشق، ٢٠٠٢م.

٥٩- هلال (محمد غنيمي). النقد الأدبي الحديث. ط.٣. دارالثقافة، دار العودة. بيروت، ١٩٧٣م.

الدوريات:

٦٠- باطاهر (بن عيسى). طرق العرض في القرآن. الأهداف والخصائص الأسلوبية. حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية (الحولية الثانية والعشرون. الرسالة ١٧٨. مجلس النشر العلمي. جامعة الكويت، ٢٠٠٢م.

٦١- عدلي (سميرة عدلي محمد رزق). مقتضى الحال. مفهومه وزواياه في ضوء أسلوب القرآن. مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها. مجلد ١٢. العدد ١٩. نوفمبر ١٩٩٩م.

كتب مترجمة:

٦٢- M. L'Abb'e ci Vincent. نظرية الأنواع الأدبية. ترجمة. د. حسن عون. منشأة المعارف. الإسكندرية. د.ت.